



ملاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس

أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي

الأستاذ عميراوي احميدة

دكتور دولة في التاريخ الحديث

علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس
أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي

الأستاذ عميراوي احميده
دكتور دولة في التاريخ الحديث

طبع دار البعث

طبع بدار البعث - قسنطينة



□ . كتب وسحب هذا العمل على P.C المؤلفُ نفسه.

□ . تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل جلاله: وإن أحَدٌ من المشركين استجارَكَ فأجِرْهُ حتّى يسمَعَ كلامَ الله ثمّ أبلِغْهُ مأمَنَهُ ذلك بأنهم قومٌ لا يعلَمون

التوبة آية 6

الإهـداء.

إلى كل من ساهم في مدّ جسور التّواصل بين الشعوب العربية

لتعيش الجزائر في أمان..

إلى راشة ملاك

الثلاثاء 24 شوّال 1422 هـ

8 جانفي 2002 م

الدكتور عميراوي احميده

مختصرات مستعملة

◊ A.M.G. = Archives du ministère de la Guerre à Vincennes
◊ A.O.M. = Archives d'Outre - mer à Aix-en-Provence
◊ A.N.T. = Archives Nationales tunisiennes
◊ C.E.R.M. = Centre d'étude et de recherches marxistes
◊ R.A. = Revue africaine
◊ R.H.M. = Revue d'Histoire maghrébine
◊ ش. و. ن. ت. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

مفاهيم محلية مستعملة

- **أرض بايلك:** أرض الباي أو الداي.
- **أرض بور:** أرض سائبة غير محروثة ومنها أرض موات.
- **الحضر:** أعيان المدين الأصليين.
- **خاطر:** أناس، أفراد.
- **جابدة:** ويقال لها زويجة، أي محراث يجرّه ثوران أو المساحة التي يزرعانها.
- **الجبري:** ضريبة تدفع في الشرق الجزائري وتسمّى في الجزائر والوسط باللزمة.
- **الراي:** الملك (Le roi).
- **زواوة:** قبيلة في جرجرة ومنها تأسست فرق في الصف العثماني والفرنسي.
- **شيعة:** نيشان: وسام.
- **الغرامة:** نوع من الضريبة.
- **قسيان:** ضابط.
- **اللزمة:** ضريبة يدفعها الخلفاء "كل ستة أشهر" للبايات وبعدها للداي.
- **قبائل المخزن:** معناه في الجزائر قبائل موالية من أهل البلاد، يختلف عن معناها في المغرب الأقصى الذي هو: الحاكم. وعن معناها في المشرق الذي هو القبائل الأجنبية الموالية. والمعروف بصفة عامة في المغرب كله فهو البايلك أو الحاكم.
- **المحلّة:** فرقة من الجيش تخرج فصليا لتساعد القادة على جمع الضرائب.
- **المزبور:** المذكور
- **النوبة:** فرقة عسكرية مرابطة في المدينة.
- **النعمة:** الحبوب، المئونة.
- **هوير:** مجموعة من البغال والأحصنة وتعني في الغالب حيوانات البايلك.

كلمة افتتاحية

عرفت العلاقات بين الجزائر والبلدان الشقيقة وبخاصة منها تونس والمغرب مواقف متميزة كان من أهمها التآزر والتعاضد. ويكفي القول إن الثورة التحريرية الجزائرية نجحت بفعل عوامل كثيرة كان في مقدمتها السند المغاربي الذي تمتد جذوره إلى الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها؛ أي، منذ بداية الاحتلال الفرنسي. ففي عهد الثورة كانت للجزائر مراكز قوة إعلامية كالإذاعة والصحافة وغيرها. واقتصادية حيث كانت الموارد المالية تفد إلى داخل الجزائر من المهاجرين الجزائريين دون توقف. وبشرية؛ حيث تجند أبناء الجزائر المهاجرين بمعية أبناء كل من تونس والمغرب في صف جيش التحرير. لهذا كان هدفي أن أقدم عملا تاريخيا في جزئين الأول يتحدث عن علاقات الشرق الجزائري بتونس منذ العهد العثماني. والثاني عن علاقات الغرب الجزائري بالمغرب الأقصى.

وإن كان ولا بد من توجيه الشكر إلى كل من قدم لنا مساعدة فهو لكثير من الباحثين ونذكر منهم الدكتور يحي بوعزيز والأستاذ ناصر لوحيشي.

قسنطينة يوم الثلاثاء 24 شوال 1422 هـ

الموافق 8 جانفي 2002 م

المؤلف

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور يحي بوعزيز - جامعة وهران

بلدان إفريقيا الشمالية الغربية أو المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب الأقصى تمثل منطقة جغرافية ومناخية وعرقية بشرية واحدة منذ فجر التاريخ، توالت عليها هجرات بشرية متعددة لم تؤثر فيها كثيرا رغم أنها كونت بها دولا عديدة، بدءا بالقرطاجيين فالرومان والوندال والبيزنطيين وأخيرا العرب المسلمين الفاتحين الذين متنوا الصلات والوشائج العرقية والدينية واللغوية والثقافية بفضل العقيدة الإسلامية السمحاء واللغة العربية وفي ظل الإسلام والعقيدة الإسلامية شهد لإقليم عدة دول تداولت السلطة والحكم والولاية ففي صدر الفتح الإسلامي كانت القيروان عاصمة لكل بلدان الإقليم ولبلاد الأندلس في جنوب غرب أوروبا .وفي عهد الفاطميين والأسرة الزيرية تمتنت العلاقة بين الجزائر وتونس كما تمتنت بعد ذلك في عهد دولة عبد المؤمن الموحدية، وازدادت متانة على عهد بني حفص الذين حكموا تونس وبجاية وقسنطينة وعنابة في الجزائر .غير أنه في عهد الأتراك العثمانيين ابتداء من القرن 16 بدا الصراع بين النظامين التركيين في كل من الجزائر وتونس، وظهرت مشاكل كثيرة مصدرها الأساسي رغبة كل طرف في الانفراد بالسلطة والنفوذ على غيره ولكن السكان في كلا البلدين حافظوا على

وشائج القربى والنسب والجوار، والماضي المشترك والمصالح المشتركة، والعوائد الموروثة، التي تجمعهم عبر التاريخ، ولم ينساقوا أبدا وراء دعاة الفرقة، والتشنج، والصراعات العرقية والطائفية والجهوية .

وبقي الأمر هكذا إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 فركز سياسته على تطبيق شعار "فرق سد" وسعى لإحداث مشاكل، وصراعات بين الشعبين الشقيقين المتماسكين المتجاورين: الجزائري والتونسي، ومارس هذه السياسة القذرة طوال إحدى وخمسين عاما إلى أن تمكن من احتلال تونس كذلك عام 1881.

ويشكل بحث العلاقة ما بين سكان إقليم قسنطينة الشرقي وسكان إقليم تونس الغربي المجاورين موضوعا مهما للبحث والدراسة انطلاقا من الرسائل والتقارير، والدراسات التي تزخر بها دور الأرشيفات وهو ما قام به الأستاذ الفاضل الدكتور حميدة عميراوي عبر المحاور الخمسة الآتية:

1 – أوضاع الجزائر وتونس أواخر العهد العثماني وكانت تابعتين للدولة العثمانية منذ مطلع القرن 16 بالنسبة للجزائر، وفي الثلث الأخير من القرن بالنسبة لتونس، ولكن علاقاتها السياسية مع الدولة العثمانية كانت رمزية وشكلية واسمية منذ النصف الثاني من القرن17.

فالجزائر أصبحت شبه مستقلة منذ عهد الدايات عام 1671، واكتفى داياتها بذكر اسم السلطان العثماني في خطب الجمعة والأعياد، ورسم اسمه على العملة، وإرسال بعض الهدايا الدورية له، ونجدته عسكريا عندما تتعرض قواته

العسكرية لضغوط وصعوبات من طرف دول أوروبا الوسطى والشرقية التي تعاديه وتتربص بدولته الدوائر كلما وجدت الفرصة لذلك.

وقت عهد الدايات: شعبان باشا (1689-1695) ومحمد عثمان باشا (1766 – 1791) وحسن باشا (1791 – 1798) من أبرز فترات الاستقلال للجزائر العثمانية التي عاشت عهد قوة داخليا، ومع جيرانها الأشقاء، وبلدان أوروبا الأخرى وعلى رأسها إسبانيا وفرنسا والدانمارك وبريطانيا وغيرها.

أما تونس فقد مارست هذا الاستقلال عن الدولة العثمانية متأخرة عن الجزائر، في مطلع القرن 18 م عندما قامت الأسرة الحسينية ابتداء من عام 1705. واتضح ذلك بصورة خاصة في عهد الباي حمودة باشا (1782 – 1814) المعاصر للداي محمد عثمان باشا في الجزائر. والسلطان محمد بن عبد الله في المغرب الأقصى.

2 – العلاقات الجزائرية التونسية قبل عام 1830. وكان أتراك الجزائر هم الذين حرروا تونس من الاحتلال الإسباني عام 1574، وألحقوها بالدولة العثمانية على غرار الجزائر، وطرابلس، مع تبعيتها لهم فيما يخص دفع الإتاوات واختيار من يحكمها من الدايات عندما يشغر المنصب، وبقي الأمر هكذا حتى عام 1590، ثم تمرد مجلس الأوجاق ورفض هذه التبعية للجزائر وإلحاق البلاد بالدولة العثمانية رأسا.

مقدمة

تُبحث العلاقات التونسية ـ الجزائرية أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال المواقف الرسمية التي التزم بها كل من باي قسنطينة والأمير عبد القادر تجاه نظيرهما باي تونس.

وكذلك من خلال العلاقات الاجتماعية بمختلف صورها التي سادت بين الشعبين. مثلما تبحث في ضوء السياسة الخارجية لكبريات الدول وبخاصة منها العثمانية والفرنسية تجاه ولايات المغرب العربي.

وبدراسة هذه العلاقات التونسية ـ الجزائرية يمكن التعرف على مراحل تاريخية هامة من السياسة الفرنسية في الجزائر. وعن بدايتها في تونس. كما يمكن التعرف على جوانب من مراحل الجهاد "المقاومة" في قطاع الشرق الجزائري وفي جزء من الغرب التونسي.

والهدف من دراسة هذه العلاقات هو إبراز التفاعلات ووجوه التقارب والتكامل والتباعد التي طبعت العلاقات بين الولايتين. وكذلك إبراز النيات الاستعمارية الاستيطانية التي خططت للاستيلاء على مناطق البلاد المغاربية.

وسنحاول أيضا إبراز الدعم القوي من العمق التونسي الذي ساعد الجهاد/المقاومة في الجزائر. وإبراز التباين والاختلاف بين النظامين بالولايتين. والعوامل التي أدّت إلى إضعاف القوة الحربية بهما، الأمر الذي سهل على

فرنسا تطبيق سياستها التوسعية في الشرق الجزائري وفي الغرب التونسي.

ومن الأهداف التي نتوخاها من تقديم هذا العمل إضافة بعض المعلومات إلى ما تفضل به بعض الباحثين الكبار ومنهم فضيلة الأستاذ التميمي عبد الجليل حين تعرض للعلاقات بين باي بايلك الشرق الجزائري وباي تونس بصفحات موثقة (ص.81-92) في أطروحته دكتوراه الدولة بعنوان **"بايلك قسنطينة والحاج أحمد باي"**.

ومن الأهداف أيضا تقديم مجموعة من الوثائق الهامة المنتقاة أعرضها مثلما هي في قسم الملاحق لتكون أداة بين أيدي الدارسين كمادة خبرية مصدرية عالية القيمة.

فهذا العمل إذن، هو دراسة أكاديمية حاولت من خلاله مساءلة الواقع التاريخي. مع التذكير إن ما أقدمه هو إثراء لفصل من فصول أطروحة نلت بها شهادة دكتوراه الدولة وعنوانها **"السياسة الفرنسية والمقاومة الوطنية في الشرق الجزائري 1830-1858"**.

وفضلنا أن يكون الحديث عن هذه العلاقات الجزائرية-التونسية من خلال النقاط الآتية:

أولا

وضع الجزائر وتونس أواخر الفترة العثمانية.

ثانيا

من العلاقات التونسية. الجزائرية قبل 1830.

ثالثا

موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

رابعا

علاقة الجهاد الجزائري بنظام الحكم في تونس.

خامسا

علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس.

أولا: وضع الشرق الجزائري وتونس أواخر الفترة العثمانية

ينفرد إقليم الشرق الجزائري بمميزات جعلته أهم مقاطعة في الجزائر. مثلما أهلته كي يحظى باهتمام النظام العثماني والنظام التونسي. فهو يمتاز بحدود مفتوحة على الغرب التونسي. مثلما كان محلّ اهتمام كبير من طرف الأنظمة الأوروبية. يتشكل سكانه من هرم اجتماعي كبير قاعدته القبائل والأسر الموسعة التي كان بعضها يتوطن على التخوم الجزائرية والتونسية.

وكانت علاقات الشرق الجزائري الخارجية محورية في تفسير بعض المواقف الرسمية والشعبية. ويمكن عرضها في علاقات سياسية واقتصادية مع أطراف أوروبية، ومع السلطنة العثمانية والبلد المجاور تونس.

وكانت علاقات الشرق الجزائري بفرنسا قديمة. إذ يعود اهتمام الحكومة الفرنسية بالجزائر إلى عهد شارل التاسع الذي طلب من الباب العالي الحصول على الجزائر مقابل مبلغ معتبر من مال. وفي مرحلة أخرى حصلت فرنسا عام 1561 على امتيازات صيد المرجان بالساحل الشمالي للشرق الجزائري[1].

وكانت الصادرات الفرنسية إلى الشرق الجزائري كبيرة، مثلما كانت وارداتها كثيرة من شمال الجزائر؛ حيث كانت أثناء مرحلة الثورة بها تتزود بما

1- صلاح العقاد، المغرب العربي، ط. 3، مكتبة الأنجلو – المصرية، ص 44-45.
وكانت فرنسا تتدخل لدى الباب العالي ليعمل على تغيير نظام الحكم في الجزائر. ينظر:
2- Grammont (H. de), Histoire de l'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), Ernest, L. Paris 1887, p. 100.

تحتاجه من حبوب ومواد ضرورية.

وكان لنابليون بونابرت اهتمام خاص بولايات الشمال الإفريقي إلى درجة أنه كان يطمح في السيطرة عليها. وترجم نابليون هذا الاهتمام بأن كلف أخاه جيروم عام 1805 القيام بحملة عسكرية ضد الجزائر والتي تمكنت من إطلاق سراح 231 أسيرا مقابل مبلغ قدره 80000 فرنك[1]. .

وكان تاليرون (Talleyrant) من جهته دعا إلى ضرورة التدخل للقضاء على نشاط الأسطول البحري لولايات "المغرب العربي"[2] وترجم نابليون اهتمامه بالجزائر؛ بل إصراره على احتلالها حين كلف الضابط بوتان (Boutin) القيام بمهمة تجسس قصد إعداد تقرير حول ما يلزم من ترتيبات لاحتلال الجزائر. وتمكن هذا الأخير من تقديم دراسة وافية كانت على مكتب نابليون جاهزة للتنفيذ[3].

كان اهتمام نابليون بالشرق الجزائري محكوما إلى اعتبار أنها كانت من الأسواق الهامة التي بإمكانها أن تساعد على تطوير الصناعة الفرنسية، زيادة

1 -أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص. 21.
2 - Julien (CH.), Hist. de l'Algérie contemporaine, P.U.F. Paris 1964. p. 22.
3 -تولى بوتان مهمات سرية لصالح فرنسا كانت إلى كل من اسطامبول عام 1807. وإلى الجزائر عام 1808، حيث تمكن من معرفة قوة الجيش العثماني الذي قدره بـ 60000 محارب. وأكد أنها لا يمكن أن تجمع في أقل من شهر. زيادة على معرفته بدقة لوضع داي الجزائر. ثم قام بعدها بمهمة إلى تونس ثم إلى مصر. حيث قتل فيها عام 1813. للمزيد يراجع: رشاد الإمام: سياسة حمودة باشا في تونس(1782–1814)، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980، ص.32.
Nettement (A.), Histoire, de la conquête d'Alger, le coffre, J. Paris 1856, p-p. 12-13.

على أنها تعدّ من أقوى الحصون التي تمكنه من منافسة بريطانيا في حوض البحر المتوسط.

في هذا الوقت الذي تنشط فيه السياسة الفرنسية لتوسيع نفوذها عرفت العلاقات بين الجزائر والباب العالي نوعا من الفتور الذي يمكن التحدث عنه باختصار فيما يلي:

كانت نهاية العلاقات بين ولاية الجزائر أواخر الفترة العثمانية متميزة عما كانت عليه في البداية. إذ كانت قبل سقوط الجزائر تتأرجح بين القوة والضعف. ففي البداية لم يكن نظام الحكم في الجزائر منفصلا تماما عن الباب العالي رغم مرحلة الضعف التي عرفها هذا الأخير. بل استمر النظام في الجزائر يؤازر الباب العالي في مواجهاته للقوى الأوروبية ويمده بمساعدات متعددة.

ولعل هذه المؤازرة من الداي تفسر ولاء الحاج أحمد باي قسنطينة فيما بعد للسلطان العثماني. وكيفما كانت هذه العلاقات فإن أثرها كان مباشرا فيما استجد من أحداث في الشرق الجزائري والغرب التونسي.

وكان للطرقية –من جانب آخر– دور هام في ما ساد من علاقات بإقامتها لتوازن اجتماعي بإقليم الشرق الجزائري، موازاة مع مكانة الأرض التي كانت تمثل أكثر من رمز.

الحدود (التخوم)

على الرغم أن الدارسين في القانون الدولي تناولوا موضوع الحدود وأثرها في العلاقات بين الشعوب لكنهم لم يتحدثوا عن الحدود الجزائرية – التونسية أو الجزائرية – الطرابلسية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، باستثناء الإشارات التي جاءت في بعض الدراسات؛ مثلاً في ما كتبه محمد بجاوي حين ربط الحدود الجزائرية الشرقية بمواطن وحركة تنقل القبائل[1].

وسبق لكثير من الدارسين والرحالة أن حاولوا تعيين حدود هذا الإقليم، حيث وضع الدكتور شو (Shaw) خلال القرن 18 خريطة وضّح عليها معالم وحدد بها حسب قوله حدود بايلك الشرق، ومن خلالها يتبين أن هذا الإقليم كان يمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 58 فرسخا (232 كلم). ومن الشرق إلى الغرب على مسافة 95 فرسخا (380 كلم). وقال بأن نهر بوبراك الذي يصب في نهر دللس هو الحد الفاصل من الشمال لبايلك الشرق عن دار السلطان أي الجزائر العاصمة[2].

في حين قال بايسونال (Peyssonnel) الذي زار الجزائر خلال عامي 1724

1 – لمزيد من التعرف على هذا الموضوع يراجع كلٌّ من:
• Bedjaoui. (Md.), La révolution algérienne et le droit, Edit. De l'association internationale des juristes démocrates, Bruxelles 1961.
• Boualem. Bouguetaia, Les frontières méridionales de l'Algérie S.N.E.D. Alger 1981.

2- Shaw (docteur), Voyage dans la Régence d'Alger, tra. De l'anglais par Mac Carthy, Paris 1830.

و1725 إن أطراف البايلك تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 100 ميلا[1] (حوالي 185 كلم).

وفي رأي ابن أبي دينار أن الحدود بين الجزائر وتونس تحددت عام 1614 و1628 بمعاهدة جعلت وادي صرات الحد الفاصل[2].

ومهما يكن من محاولة لتعيين هذه الحدود خلال القرن الثامن عشر فهي لم تعرف الثبات والاستقرار، ولعل هذا ما دفع نوشي إلى وصفها بالحدود غير الثابتة[3]، أو ما يمكن أن نعبر عنها بالحدود البشرية بدل الحدود السياسية، وفقا للوضع الاجتماعي السائد.

نعبر عنها هكذا برغم التأكيد الذي جاء سواء في مراسلة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا حاكم تونس أم في ردّ هذا الأخير الذي يفهم منه أن الحدود كانت معينة وثابتة، إذ قال أحمد باي: "**إن ورغة قد تعدّى الحد الفاصل بينها وبين الحنانشة وهذا السبب يوقع بينهم الفساد وإن شئت فابعث من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف**[4]. وجاء الرّد

1- Peyssonnel, et, Desfontaines, Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide, Paris 1838, P-P. 292-293.

2 – ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1961، ص. 184؛ ومن المصادر التي تحدثت عن أرض تونس ولم تعين حدودها الغربية تذكر: محمد بيرم الخامس، القطر التونسي في صفوة الاعتبار، تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس 1983.

3- Noushi (A.), Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'à 1919, Paris 1961, p. 15.

4 – المراسلة في تاريخ 24 رمضان 1242هـ / 1826 م A.N.T. dossier. 384. Cart.223 –

على لسان مصطفى باي تونس هكذا: "**وقوله إن ورغة قد تجاوز الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم نتجاوزه ولا زلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وحدودها فإذا وجدهم قد تجاوز حدهم ولو قدر فإنا نرجعه ونحكم فيهم**"[1].

وكانت حدود الجنوب الجزائري - التونسي محل نزاع بين سكان المنطقة، من ذلك حسب رأي فيرو شارل أن سكان وادي سوف كانوا يعتبرون مدينة نفطة ملكا لهم[2].

وكانت قضية الحدود أو التخوم الفاصلة بين التشكيلات الاجتماعية الجزائرية والتونسية من أهم العوامل التي أثرت في العلاقات الرسمية والشعبية بين البلدين، سواء أثناء الحكم العثماني أم خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي[3].

وتبقى الحدود من القضايا التي استمرت موضع خلاف مثلما استمرت وسيلة تقارب وتبادل المصالح بين الأنظمة والأعراش وستبقى محل تضارب في آراء الدارسين.

- ينظر: ملحق رقم 1. ويفهم من رسالة حموضة باشا (1228هـ/1813م) إلى فروع القبائل المتوطنة على الحدود أن معالم ترابية كانت محددة. ينظر: A.N.T. doss. 229, cart.212.

1-رسالة مصطفى باي لأخيه حسين باشا في 12 رجب 1243؛ المصدر نفسه.ينظر ملحق رقم 2

2- Féraud (Ch.), « Notes historiques sur la province de Constantine les Ben-Djellab, Sultans de Touggurt », in R.A. 1882, p-p. 361-386.

3 – للمزيد من المعلومات يراجع:

- A.N.T. dossiers 230, 232, 239, cart.212, et, dossier 248, cart. 213.

وعن مشاكل هذه الحدود التي وقعت بعد احتلال الجزائر يراجع:

- A.O.M. F80/1697, 1H14

ويفترض أن يكون الحد أو التخمُ خطاً مرسوما يحدد وجود مجال سياسي معين. على هذا الافتراض تكون الحدود شكلا من أشكال الممارسة للسلطة. وقد أثير اختلاف كبير عبر المراحل التاريخية وعلى مختلف بلدان العالم حول الحدود، ففي العصر الوسيط كانت أغلب التنظيمات مبنية على العلاقات الشخصية أكثر مما كانت مبنية على العلاقات الاجتماعية والسياسية.

وبظهور الدولة الحديثة عرفت الحدود تطورات في الأحداث والتصورات. وباستعمال القياس الخطي حديث صار الحد ذا طبيعة إقليمية ومظهرا للسيادة. وصارت الحدود تؤدي وظائف كثيرة نذكر أربعا منها وهي: الوظيفة القانونية وتتمثل في سيطرة مجموعة من التنظيمات والأشخاص داخل مجال محدود كالدولة. والوظيفة الثانية مالية كفرض الضرائب على المنتجات الأجنبية وحماية السوق المحلية. والثالثة وظيفة الرقابة كأن تتولى السلطة رقابة الناس وأموالهم ومواطن تواجدهم. والرابعة عسكرية سياسية كفرض سياسة الحاكم على إقليم معيّن[1].

وبرغم ظهور هذا المقياس الخطي وتطور القوانين إلا أن موضوع الحدود ظلّ محل اختلاف. وظلّ أيضا تحديده ورسمه هشاً على أرض الواقع، فتعددت الحدود وتشابكت، فصار منها ما توصف بالحدود الطبيعية (أنهار وجبال). وأخرى بالحدود السياسية (دولة وإمبراطورية) وغيرها بالحدود القومية (لغة جنس ودين).

---

1 – كلود، رافستان، "عناصر لنظرية في الحدود"، ديوجين، العدد 78، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة 1988، ص.13 .

وبرغم وجود هذا الاختلاف تبقى الحدود ترجمة للسلطة ومجالا للسيادة ومظهرا للتنظيم الداخلي وللعلاقات السياسية والاجتماعية بين الشعوب والمجتمعات.

وبناء على هذا فحدود إقليم قسنطينة لم تكن ثابتة ومرسومة، لهذا كانت – خاصة قبل عام 1628– موضع خلاف بين نظامي البايات في كل من تونس والجزائر. وإن التخوم بين هذين النظامين كانت محدّدة بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا، فأوطان القبائل والعشائر الموالية والخاضعة لهذا النظام أو لذاك تعدّ ضمن مجال السيادة لهذا النظام أو لذاك. فالولاء الذي لم يكن ثابتا دائما لنظام حكم واحد كان أحد العوامل التي منعت رسم الحدود بين الإيالتين.

وكان بايلك الشرق الجزائري يمتدّ إلى وادي صرات، حيث يلتقي بوادي مرجانة. ولا يعني هذا أن مجال السيادة العثمانية في هذا الإقليم كان يمتد إلى كامل هذه الرقعة، بل، كانت مواطن كثيرة غير خاضعة للسلطة المركزية بمدينة قسنطينة.

وعن سكان الشرق الجزائري يمكن القول إنه برغم أن الدراسات التاريخية التي تحدثت عن سكان الإقليم قليلة إلاّ أن فيها مبالغةً حيث ذهب دي بيليسي (De Pellissier) إلى القول: إن عدد سكان الشرق الجزائري في

أواخر العهد العثماني بلغ المليون ونصف المليون نسمة[1]. في حين قال حسونة الدغيس: إن عدد سكان الشرق الجزائري بلغ أربعة ملايين وثمانمائة ألف نسمة[2]. بينما ذهب ياكونو (Yacono) إلى القول: إن عدد سكان الجزائر كلها لم يتعدّ ثلاثة ملايين نسمة[3]. على خلاف حمدان خوجة الذي قال: إن سكان الجزائر كلها بلغ عشرة ملايين نسمة[4]. من خلال هذه الأقوال المذكورة توصل التميمي عبد الجليل إلى أن تعداد سكان الشرق الجزائري بلغ ستة ملايين وثمانمائة ألف نسمة. وهي الأقوال التي تتأكد من خلالها المبالغة مثلما قال عبد الجليل نفسه[5]. وبدلاً من ذلك توصل التميمي ببحثه إلى نتيجة هامة ونراها مطابقة للواقع آنذاك وهي أن عدد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون ومائة وواحد وثلاثين ألف نسمة[6].

وهو العدد الموزع على سكان الريف والمدينة معا. وكانت كبريات المدن لا يسكن في أحدها أكثر من 45 ألف نسمة. وفي رأي نوشي (Noushi)[7]

1- Pellissier (R. de), Annales algériennes, t. 3, Dumaine, Paris 1854, p-p. 288-289.

2- Temimi (A.), Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), R.H.M. Tunisie 1978. 57.

3- Yacono (X.),"Peut-on évaluer la population de l'Algérie vers 1830", in. R.A, année 1954, p-p. 277-307.

4- Hamdan (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D. Goetschy, Paris 1833, p 320.

5- Le Beylik. op.cit. p-p. 56-57.

6 –.، Le Beylik المرجع نفسه، ص:58.

7- Noushi (A.), Sur le féodalisme, Cahier du C.E.R.M. éd. sociale, 1974, P. 182.

يكون عدد سكان المدينة لا يتعدى نسبة ما بين 10% و 20%. وكان رأيه مبنيا على رأي أحد المعاصرين لأواخر العهد العثماني[1]. في الوقت الذي ذهب فيه سعيدوني إلى القول: "**في حين لم يتجاوز سكان المدن والحواضر(في الجزائر عامة) في أحسن الأحوال6 %** "[2]. بينما ذهب بعض الدارسين إلى اعتبار نسب 5 إلى 10% هي نسبة سكان المدن الجزائرية كلها[3]. وهي النسبة التي تبدو مطابقة في ذلك العهد، الذي على أساسها يكون عدد سكان الريف في الشرق الجزائري حوالي مليون نسمة. في حين يكون سكان العاصمة الشرقية قسنطينة لا يقل عن 30 ألف نسمة. وإن كان ريمون (Raymond, A) قد رجّح أن يكون عدد سكان مدينة قسنطينة قبل احتلالها 25000 نسمة[4].

كانت القبيلة بنوعيها الزراعية والرعوية، المستقرة والمتنقلة الأساس الثاني بعد الأرض للحياة الاجتماعية في الشرق الجزائري. بل إنّ الأرض والقبيلة والأسرة كانت كلها الأسس السائدة والمحددة لمصير المنطقة. كانت القبائل

1 – تقرير كامل باي إلى السلطان العثماني في جوان 1836 (نقلا عن: Le Beylik, p 57)
2 – سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص. 97.
3 – ينظر: ابن اشنهو عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر، ش.و.ن.ت. الجزائر 1979، ص. 40.
4 – ينظر:
• Raymond (A.), «Les caractéristiques d'une ville arabe moyenne » au 18è siècle: le cas de Constantine », C.T. no137-138, Faculté des lettres et sciences humaines Tunis 1986, p-p. 175-195.

وفروعها تشكل معظم سكان الشرق الجزائري وقد وصل عدد الفروع بهذا القطاع حسب بعض المصادر إلى 250 قبيلة أو عشيرة[1] يتوطنون كلهم في الجبال والسهول، وهم أكثر الناس ارتباطا بالأرض والأكثر قوة ومنعة بفعل حصانتهم بالجبال الوعرة المسالك وامتهانهم الحروب.

فأساس الهرم الاجتماعي للريف هو العشيرة أو القبيلة أو الأسرة. ولا تتكون هذه العشيرة من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد؛ برغم أن الجد كان المرجعية بالنسبة إلى فراد القبيلة ـــ المرجعية عن حقيقة أو عن وهم ـــ فالقبيلة أو العشيرة غالبا ما تكونت من تجمعات ذات مصلحة مشتركة امتصت ذاتية الفرد بولائه لها. ولمصلحته كان عليه أن يلتزم بضرورات أخلاقية ودينية واقتصادية مقابل حصوله على حماية وأمن ومورد رزق من الأرض. وتكون الأرض هنا محل نشاط والقاعدة الأساس لتلك القبيلة أو العشيرة مثلما هو لسلالة الدم من أساس، وإن كان اسم الجد يُرفع كشعار لتعزيز الأبوة الذكورية وللتخفيف من النزاعات داخل القبيلة ولتعاضد أفرادها[2].

فسمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري لا تتحدد في شكل

1 – تقرير كامل باي (نقلا عن: Le Beylik, p 57). ينظر: ملحق رقم 3. وأيضا:
• Féraud (Ch.), Notices Historiques sur les tribus de la province de Constantine , Arnolet Constantine 1869.
• – بالإضافة إلى تقارير تؤكد هذا وهي محفوظة في: A.M.G. H228
2 – للمزيد ينظر: عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبد الله، ط.1، دار الحداثة، بيروت 1983، ص. 18 وما بعدها.

مطلق بالقبيلة ولا بالعلاقات فيما بينها فقط -رغم أنها الإطار لهذه الحياة- إنما كانت تتحدد أيضا بالنظام العقاري /الأرض/ وبالأدوات الفلاحية. وتقابلها سمة الحياة في المدينة بالدكاكين والحرف[1]. فالأرض بالنسبة إلى سكان الريف هُويّةٌ بقدر ما هي مردود مادي. ولعل هذه القناعة هي التي دفعت نوشي إلى اعتبار النظام العقاري بالشرق الجزائري هو السبب في وجود توازن بارع ساد بين الفرد والجماعة، من جهة. وبين الإنسان والتقنيات، من جهة أخرى. وبينهما والأرض، من جهة ثالثة[2]. ويمكن أن نقول أيضا إن الأرض هذه هي التي حفظت التوازن في العلاقات بين الشرق الجزائري والغرب التونسي. وبقي هذا التوازن إلى أن جاءت الحملة الأوروبية عام 1830.

كان سكان الجنوب الشرقي الذين يوصفون بالبدو يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الرعي أكثر. ومن ثم فالحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية للريف الجزائري تقوم على نشاطين هما **الزراعة وتربية المواشي**. وهذا ما يفسر الصراعات وكثرة الحروب بين السكان حول موطن الكلأ والزراعة سواء أكان داخل بايلك الشرق الجزائري أم بين سكان البايلك وسكان الغرب التونسي مما أدى إلى نتائج هامة لصالح النظام العثماني والاستعمار الفرنسي فيما بعد.

1 – للمزيد من المعلومات ينظر: ابن أشنهو، عبد اللطيف، المرجع السابق. ص. 25.
2- Noushi, Enquête, p. 73.

وفي جنوب قسنطينة بالصحراء كان الصراع حادا بين الأسر وبين القبائل، حيث كانت الأسر الثلاث **ابن قانة وبوعكاز وبنو جلاب** تتقاسم النفوذ في هذه المنطقة الجنوبية. إذ كانت أسرة ابن قانة ضد أسرة كل من بوعكاز في الزيبان وأسرة بني جلاب في توقرت. في حين كانت القبائل بهذه المنطقة الصحراوية مثل البوازيد في صراع ضد أولاد نايل.

وكانت القبيلتان الحنانشة والنمامشة تسكنان معظم المناطق في جبال الأوراس وبعض المناطق الأخرى في غير الأوراس. وكانت معظم فروعهما ثائرة على النظام العثماني[1]. وكان لكل ذلك أثره المباشر في العلاقات التونسية- الجزائرية.

في الغالب كانت النزاعات بين الأفراد داخل القبيلة أو الأسرة الواحدة تقل بفعل الانتماء إلى الجد الواحد أو إلى شيخ الطريقة الواحدة. في حين كانت تلك النزاعات دائمة بين قبيلة وأخرى.



1 – وقعت انتفاضات كثيرة من طرف هؤلاء منها التي كانت: عام 1803 و1804 و1823. للمزيد من المعلومات يراجع: سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ص. 275

وكانت قبيلة الحنانشة[1] من القبائل القوية التي شكّلت مركز فعل في الأحداث السياسية منذ القرن الثامن عشر على الأقل.

وكانت هذه القبيلة مشكلة من ثلاثة فروع رئيسة هي **هوارة والهلالية وعرب بني سليم**. وفي رأي الباحثة معاشي جميلة أن أصل القبيلة هي التي تعرف بأحرار الحنانشة وأن بقية الفروع تسمى بالحنانشة إنما سميت كذلك سواء بالحلف أم بالموطن[2].

ولهذه القبيلة نفوذ قوي، يمتد على رقعة غير قليلة من الأراضي التي تتداخل بين حدود البلدين تونس والجزائر؛ لأن نفوذها كان يمتدّ من تبسة إلى سوق اهراس ثم إلى عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبل مسيد إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلالة ودقمة وسلسلة كاف مسحوط وسلسلة الزعرورية وجبل تليس[3]. وبذلك تمكنت هذه القبيلة خاصة خلال القرن 16 وبداية القرن 17 من فرض سلطتها على تخوم (حدود) البلدين وبالتالي على

1 – في رأي ابن خلدون عبد الرحمان إن الحنانشة نسبة إلى الجد حناش المنحدر من قبيلة هوارة البربرية. ينظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، دار الكتاب اللبناني، ط.3، بيروت 1983، ص. 405. وذهب فيرو بعيدا بقوله: إن الديانة اليهودية انتشرت في قبيلة الحنانشة، وإن فرعا من هذه القبيلة قدّم مساعدات هامة للسلطة الفرنسية أثناء توسعها بقيادة فارس منهم هو يهودي الأصل.
• Féraud (Ch.), « Les Harar seigneur des Hanancha », in R.A. 1874, p. 30.
ينظر كذلك:
• Dardour (H.), Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, S.N.E.D, Alger 1982, p-p. 60-59.

2 – معاشي، جميلة، الأسر الحاكمة ببايلك الشرق، ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر 1991، ص. 33.

3 – معاشي، جميلة، المرجع نفسه، ص. 139.

قبائل وفروع أخرى في الغرب التونسي مثل شارن وأولاد بوغانم والفراشيش[1]. بالإضافة إلى سيطرتها على أسر موسعة أخرى مثل بني معمري وأولاد علي وبني زنداي وتوبسة وأولاد سلام وبني سقوال وبني منا الله. وإلى جانب القبائل الأخرى الموالية لها والمتوطنة على الحدود التونسية مثل وشتاتة وورغة[2].

توازى هذا النفوذ وتزامن مع دور الشابية التي حاولت هي الأخرى توحيد القبائل تحت سلطتها الروحية والسياسية[3]. ففي فصل الصيف ووقت الحرب كانت تقيم قبيلة الحنانشة في قلعة سنان. وفي الشتاء ووقت السلم كانت تقيم على ضفاف وادي مجردة[4].

ترك الرحالة بيسونال حين زار الجزائر سنتي 1724–1725 معلومات قيمة عن الحنانشة وخاصة عن شيخها بوعزيز بن نصير الذي وصفه بالسلطان. وقال عنه إنه تمكن بما له من قوة قدرت بـ 8000 رجل من محاربة كل من باي قسنطينة وباي تونس[5].

1- Féraud (Ch.), « Les Harar », p. 22.

2-A.O.M. F80/ 549.

3 – يرجع تاريخ الشابية في الجزائر إلى القرن 16 ولها زوايا عديدة في تونس والجزائر. وكان نشاطها دينيا وسياسيا امتدّ من عنابة إلى وادي سوف. وممن مثل التيار السياسي فيها عرفة الشابي من ثار على العثمانيين وحاول تأسيس مملكة. لمزيد من المعلومات تراجع: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص. 275-[illegible].

4- Féraud, « Les Harar », p-p. 394 -396.

5 – للمزيد يراجع كل من:

• Peyssonnel. op.cit. p-p. 292-295. =

ولشيخ الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة البـاي، إذ كـان يحظـى بامتيازات مثل ارتداء قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي، بجانب ما كان له من حرية في جباية الضرائب والتصرف بها دون مراقب، مع حرية الإشـراف الإداري وقت السلم ووقت الحرب. وكانت لهذا الشيخ قوة عسكرية منـها فرقة خاصة تسمى المزارقية[1].

ومن خلال الدراسة يتبين لنا أن الحنانشة كانت تحتل المرتبـة الثالثـة في المنطقة بعد قوة كل من باي قسنطينة والأسرة الحسينية في تونس. وهذه المكانة كانت محكومة بعوامل أساسية، منها استغلال موقعها الحدودي بـين الإيالتين اللتين تضاربت مصالحهما. وهو ما جعل هـذه القبيلـة لا تدفـع ضرائب إلى كلا النظامين التونسي والجزائري[2].

وساعد قبيلة الحنانشة على زيادة نفوذها عامل المصاهرة خاصة مع بايات تونس، من ذلك أن الشيخ ابن منصر زوّج ابنته لعلي باي تونس[3] وعقدَ حلفا

• = Babes Leila, Mythe d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la domination turque, thèse de 3e cycle, Aix -en -Provence, France 1984, p-p. 268-269.

وتساءلت ليلى باباس، المرجع نفسه صفحة 270 عن إحجام كل من الحنانشة والـدواودة عـن الهجوم على قسنطينة برغم أنهما قادرتان على ذلك، وأرجعت السبب إلى عدم تأييد العلماء لذلك (منهم بالفقون في قسنطينة ومحمد الساسي في عنابة)، وإن كنا لا نستبعد أن يكون السبب أيضـا يعود إلى قناعة القبيلتين بشرعية السلطة العثمانية.

1 – ليلى باباس، المرجع نفسه. ص.268. وكذلـك: A.M.G. H226 و"المزارقيـة" فرسـان محاربون منتدبون من مختلف القبائل المخزنية. وهذه التسمية أصلها "المزراق" وهو الرمح.

2- Féraud, « Les Harar», p. 346.

• Gouvion (M.), et, Edouard, Kitab Ayan el Maghariba, Alger 1920, P. 34.

3- Féraud, « Les Harar ». P. 205.

مع كل من الشابية والنمامشة، برغم أنه سبق لهذه الأخيرة أن تعاونت مـع الأتراك إذ بفضلها تمكن باي قسنطينة من بسط نفوذه على مناطق بـالتخوم التونسية.

وكان للشابية نفوذ ديني واسع امتدّ إلى كل من القالة وسـوق أهـراس وتبسة والأوراس[1] إذ كانت القبائل والأسر الثائرة بالأوراس مدعمة بقـوة الشابية.

واعتمدت الشابية على الحنانشة حيث كانت هوارة الحنانشـة أعلنـت ولاءها للشابية. وتفسّر بعض الروايات سرّ التحالف الحاصل بـين الشـابية والحنانشة بما كان من علاقات تاريخية عن طريق الشيخ عبد الصمد الـذي كان له نفوذ في قسنطينة[2]. وعقدت الحنانشة تحالفا مع النمامشـة. هـذه الأخيرة التي كانت تعدّ من القبائل القوية بالشرق الجزائري، امتدّ نفوذهـا إلى تقرين في تونس. وكان الهدف من التحالف هذا هو محاربة بايات قسـنطينة مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828 [3].

1- Babes Laila, Tribus, structure sociale et pouvoir politique de Constantine sous les Turques, D.E.A. Fac. de droit et des sciences politiques, Aix-en-Provence, France 1981, p. 204.

2 – ينظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق، سعد الله أبـو القاسـم، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1996، ص. 224، 336. وقد ذكر فيرو هذا بشيء من التوسـع ينظر:

• Féraud, Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunisie, Arnolet, Constantine 1886, p. 96.

3 –Féraud, « Notice sur Tebessa », in R.A. 1874, p. 449, 456.

الوضع الثقافي

من المتعارف عليه أن الوجود العثماني استمر في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون (1516 ـــ1830). وكذلك الوجود الفرنسي الذي حاول فرض ثقافته مدة قرن وثلث القرن (1830–1962) أثناء هذه الفترة تفاعلت ثقافات كثيرة فيما بينها داخل المجتمع الجزائري. مثلما عاشت وتعايشت أجناس وجنسيات متعددة وأنظمة سياسية مختلفة. وبرغم ذلك ظلت الثقافة العربية الإسلامية ضاربة في المجتمع الجزائري.

واحتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية. والهدف من حديثي عنها ليس إبراز مكانتها كعقيدة فلسفية ـــ دينية بقدر ما هو إبراز لدورها الثقافي والسياسي. سواء من حيث علاقتها بالسكان داخل الجزائر أم من حيث علاقتها بسكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس؛ إذ إن لشيخ الطريقة نفوذا في أوساط المجتمع أوسع من نفوذ شيخ القبيلة. وأوسع حتى من نفوذ الباي. وأن كلمته كانت تنفذ إلى القلوب ما لا تنفذ الإبر. ومن حيث علاقتها بالنظام العثماني الذي تقرب لبعضها على حساب البعض الآخر. ومن حيث موقفها من الاحتلال الفرنسي الذي تفطن إلى أهميتها وكسب كثير من صفوفها أثناء فترة التوسع والاستيطان. لذلك فموضوع الطرقية يمكن تناوله في موضوع الثقافة مثلما يمكن تناوله في مواطن أخرى.

ومهما يكن فالطرقية كانت تنتشر عبر أنحاء الوطن إلى درجة أن البعض عددها بست عشرة طريقة. ومنها ثلاث عشرة طريقة انتمت إلى الشاذلية[1].

وكانت الرحمانية هي الطريقة الجزائرية الوحيدة من بين الطرق التي انتشرت في الجزائر. وأذكر بالقول إن أغلب هذه الطرق كانت قبل مجيء الاحتلال الفرنسي طرقا صوفية بالاسم لا بالممارسة. الأمر الذي يمكن أن يفسر به سبب ميل بعضها إلى الصف الفرنسي فيما بعد نتيجة ابتعادها عن التصوف الحقيقي. **لأن الصوفي لا يملك ولا يملك ولا يكون تحت حكم أو ملك فهو يقطع سلطان إرادته عن الغير[2].**

ومهما يكن من أمر فقد كانت كل من الرحمانية والقادرية والطيبية التيجانية والزيانية أكثر انتشارا في معظم المناطق الشرقية الجزائرية؛ إذ كانت منتشرة في عين البيضاء وطولقة ونفطة والكاف وتماسين وجرجرة وغيرها. وكانت زواياها موجودة في كل الأنحاء؛ سواء للتعليم أم للإطعام أم لتقبل الهدايا وبالتالي لاستغلال العامة، بنشرها للخرافة والشعوذة من جهة. ولتنظيم حيوات الناس من جهة أخرى. إذ بقدر ما كان هؤلاء المرابطون الطرقيون نعمة على المجتمع بحملهم لواء الثقافة والتعليم وبفضهم للنزاعات وبتوفيرهم

---

1 – أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، الفصل السادس. يذهب أبو القاسم إلى رأي هو أن كل الطرق مستوردة الأفكار من البلاد الإسلامية، سواء من المغرب أم من المشرق. ولا نكاد نجد طريقة أصيلة نابعة من ظروف سياسية أو دينية محلية. المرجع نفسه. ص.525.
ينظر كذلك:
• Rinn (L.), Marabouts et khouans, Jourdan, Alger 1884.

2 – يراجع: كشف المحجوب؛ المرجع السابق. ص.233.

للأمن في التنقل حتى للقوافل التجارية. وبتركهم لتراث من الأشعار والأذكار والتآليف بقدر ما كانوا أيضا نقمة على المجتمع بما أحدثوه من صراعات محلية فيما بينهم. وبنشرهم للخرافة والشعوذة التي انتشرت في كامل المجتمع الجزائري. وأيضا بابتعادهم عن العلم والعمل، إذ لم تكن لديهم اهتمامات بفلسفة التوحيد، وليست لهم عقيدة عميقة في الدين الإسلامي، ولم يكن لهم إلا الباعث الروحي المشدود إلى الماضي بعيدا عن آفاق المستقبل فحدث تقدم إلى الوراء؛ وبالتالي تغييب الناس عن واقع حياتهم وإسكانهم.

كان هذا التغييب والسكون والعجز لصالح الأنظمة السياسية الأجنبية: العثمانية والفرنسية حيث سهل مهمة هذه الأخيرة في السيطرة على الجزائر سياسيا واقتصاديا. وكذلك على تونس فيما بعد.

لنأخذ قطاع الشرق الجزائري الذي يتبين فيه من الدراسة التي قدمها أحمد ندير أن عدد سكانه وصل عام 1851 حوالي 1038962 نسمة، وكان عدد المريدين[1] للطريقة الرحمانية 67139 بنسبة 6,45 % من عدد السكان. ومريدي الطيبية 15645 بنسبة 1,5%، ومريدي القادرية 8342 بنسبة 0,8% والتيجانية 4952 بنسبة 0,47% والحنصالية 1172 بنسبة 0,11%[2] أي أن نسبة 9,33% من

1 – جاء معنى المريد في: ابن العربي، محي الدين، كتاب اصطلاح الصوفية، جمعية دائرة المعارف العثمانية ط.1، (دون البلد)، 1948، ص.2 إن: "المريد هو المتجرد عن إرادته، هو الذي صح له الانتماء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم".

2 - « Les ordres religieux et la conquête française », in Revue algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, vol. 1, n°.4, Algérie 1972, p-p. 814 - 872.=

السكان هم مريدون لهذه الطرق. وغيرهم كانوا مريدين لطرق أخرى.

يتوزع أغلب هذا العدد على أهم الطرق الثلاث: الرحمانية التيجانية والقادرية. وبالإمكان تبيان هذا من خلال الشكلين التاليين اعتمادا على دراسة كور(Cour)[1]:

الشكل 1

المناطق	عدد السكان	عدد المريدين	عدد المقدمين	مقدم واحد لعدد المريدين التابع	مقدم واحد لعدد السكان التابع
أم البواقي	34.350	100	18	55	1980
عين البيضاء	07.985	340	5	55	1597
سدراتة	27.880	2067	32	64	838
سوق هراس نواحي	41.958	1808	47	38	956
سوق هراس مدينة	04.381	220	2	--/--	-/-

=للتذكير إن النسب المئوية لم ترد في دراسة أحمد ندير.

• يمكن الإطلاع كذلك على:

• Neveu (F. DE.), Les Khouans ordres religieux chez les musulmans d'Alger, Jourdan 1913.

• Carzet (J.), Les confréries religieuses musulmanes en Algérie Alger 1959.

• Mercier (J.), Etude sur les confréries des Khouans de Sidi Abd El kader El Djilani, Challanel, Paris 1863.

1 - Cour (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes », in R.A. 1862, p- p. 291-334.

مورسوت	29.842	2600	13	200	2206
تبسة مدينة	08.093	720	7	100	1156
تبسة نواحي	52.374	7937	57	39	918
مسكيانة	23.259	4505	20	225	1162
خنشلة	35.628	2360	35	67	10117
المجموع	**256686**	**23557**	**236**	**843**	**11758**

الشكل 2

رحماني		تيجاني		قادري	
مريـــد	مقـــدم	مريـــد	مقـــدم	مريـــد	مقـــدم
12.325 %52.32	108 %0.45	6828 %28.98	22 %0.093	2697 %11.44	20 %0.084

نقول كان للرحمانية وجود قوي في البلدين تونس والجزائر إذ إنه سبق لصالح بن علي بن عيسى أن أسس زاوية في الكاف وأسس كذلك كل من مصطفى بن محمد بن عزوز زاوية في نفطة عام 1843 والحفناوي محمود (في تونس).

وبناء على ما تؤكده بعض المصادر كان بزاوية الكاف الرحمانية حوالي 900 مريدا و32 مقدما في سوق أهراس وحدها بجانب 18 مقدما كانوا يتلقون الدعم من 5

فروع تونسية. وتأتي القادرية في المرتبة الثانية من حيث النفوذ في منطقة الكاف بما لها من 306 مريدا و6 مقدمين[1].

من العلاقات التجارية

أما التجارة الخارجية لبايلك الشرق الجزائري فكانت تتم مع كل من تونس وأوروبا. حيث كانت المواد الأساسية المصدرة هي: الحبوب والزيوت والصوف والمرجان والشموع والجلود وريش النعام. وكانت المواد المستوردة هي: العطور والمتصبرات والأسلحة والأقمشة ومواد البناء والسكر والقهوة والورق والحديد.

وكان للتجار اليهود المتجولين دور في رواج المنتجات الأوروبية التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين. وكان ذلك على حساب المنتجات الجزائرية[2]. بجانب هذا كان رواج المنتجات الصناعية التونسية بالشرق

1 – لمزيد من المعلومات يراجع:
- Cour (A.), « Recherche », op.cit., p-p. 112-135.

2 – ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف، ص. 42.

الجزائري ومنافسة العملة التونسية للعملات المتداولة في الجزائر[1]. إذ كانت هذه العملة أحد العوامل المهمة في تحديد نوعية العلاقات بين نظامي بايلك الشرق ونظام الأسرة الحسينية.

وبناء على هذا لم تساعد شبكة التجارة في الجزائر على تطوير البلاد لأنها كانت محكومة إلى شبكة المواصلات السيئة وإلى صناعة تقليدية، ومن جهة أخرى كان النظام العثماني يشكل حاجزا أمام تطور التجارة، لأنه لم يحدث انسجام بين رأس المال التجاري المحلي والجهاز الحاكم لمواجهة الاحتواء الأجنبي وتحويل الريع العيني إلى الريع النقدي، إلا أن الذي حدث هو التعامل بين الجهاز الحاكم و"رأس المال" التجاري الأوروبي، الأمر الذي مهد بشكل أو بآخر للغزو الأوروبي. لأن البرجوازي الأوروبي أدرك أهمية البلاد، واقتنع بخطورة النظام العثماني في الجزائر (وإن كان خلال الفترة الأخيرة من وجوده لم يعد يشكل أيّ خطر على القوى الأجنبية) لهذا قام البرجوازي بضربته لزحزحة هذا النظام، وهذا ما يفسّر مساعي الأوساط الماركنتيلية وخاصة

1 – سيطر الريال التونسي على التعامل النقدي بالشرق الجزائري، منذ أن رُفعت قيمته خاصة خلال حكم حسين باي وخلفه مصطفى باي بزيادة وزنه فضة، فصارت قدرته الشرائية 85% بعد أن كانت 60%. ينظر:

• Noushi (A), Enquête, p. 121.

إذ بلغت مداخل الخزينة التونسية من فيفري إلى جويليا عام 1825 حوالي 121.750 بياستر. لمزيد من المعلومات يراجع:

• Khelifa Chater, Description et mutations précoloniales, la Régence de Tunisie de 1815-1857, publication de l'Université de Tunis 1984, p. 300.

لكن قيمة البياستر هبطت عام 1829 إذ صارت تساوي 1,20 فرنك بعد أن كانت عام 1816 تساوي 1,70 فرنك. ينظر: Khelifa Chater المرجع نفسه، ص 578.

المارسيلية للضغط على حكومة باريس لاحتلال الجزائر أولا واحتلال تونس لاحقا. وما توجيه الحملات العسكرية من طولون أو من باريس إلا كان تلبية للأمر الواقع الذي فرضته البرجوازية الأوروبية.

من نظام الحكم

وفيما يتعلق بنظام الحكم في الريف علينا أن نشير إلى نقطتين الأولى وهي أن نظام الحكم العثماني بالريف كان يستند إلى الأعراش والقبائل المخزنية. والأخرى إننا سنتحدث لاحقا بشيء من التركيز على نظام الحكم غير العثماني بالريف أثناء العرض للسلطة ومجال النفوذ.

وكانت قبائل المخزن – على رأي أحد الدارسين – تتشكل من مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية، وهي ذات أصول مختلفة، خلاف القبائل الأخرى ذات النسب الواحد[1].

لا يعني هذا أن القبائل المخزنية كلّها من أصول مختلفة، فهناك قبائل أو عشائر ذات النسب الواحد أعلنت ولاءها للنظام العثماني أو أخضعت فعُدت قبيلة مخزنية مثل قبيلة الزمول والأعشاش اللتين تشكّلان الطرف القوي الثاني من النمامشة الذي ثبته النظام العثماني كمخزن لمحاربة بني مراد الثائرين[2]. مثلما ثبت كذلك أولاد عامر وأولاد رحمون وهما أسرتان موسعتان عريقتان.

1- Pouyanne, La propriété foncière en Algérie, Jourdan, Alger 1900, p. 291
2- A.O.M. M90.

وبناء على هذا فالمخزنية تتشكل كذلك من عشائر عريقة أعلنت ولاءها أو فُرض عليها التزام الطاعة. وهو الأمر الذي يدفعنا إلى مشاطرة الرأي الذي ذهب إليه مبارك الميلي حين اعتبر أهل المخزن رجالَ الإدارة والحكم الذين يعيشون على حساب الآخرين[1] وفي رأي بعض الدارسين إنما المخزنية في الجزائر هي قوة مأخوذة من البلاد لحكم البلاد[2].

ولم تكن المخزنية ذات صفة إقطاعية مثلما ذهب إلى ذلك سعيدوني ناصر الدين بالقول: "**فنظام الملكية الذي عرفته عشائر المخزن (...) كان يعتبر الدعامة التي كانت تقوم عليها الصفة الإقطاعية**"[3] وقد وجد النظام العثماني سندا قويا في هذه الشريحة من القبائل المخزنية، وذلك لاتساع رقعة البلاد وقلة عدد جيش الإنكشارية، حيث بلغت قوته في الحدود الأقصى أربعة آلاف أواخر وجوده في الجزائر بعد أن كان عدد المخازنية ثلاثين ألفا[4].

ومن القبائل المخزنية قبيلة الزمول وأولاد إبراهيم اللتان كانتا أصلا من القبائل الرحّل. وفي رأي الحاج أحمد باي فإن السياسة العثمانية اعتمدت

1 – الميلي، مبارك، تاريخ الجزائر القديم، ج.3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964 ص.300.
2- Esterchazy (W.), Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger Goussin, Paris 1840, p. 25.
3 – Esterchazy (W.) المرجع نفسه. ص.71. وينظر كذلك:
• Rinn (L.), « Le royaume d'Alger sous le dernier bey », op.cit. p-p. 121-152.
4- Perrot, Alger esquisse topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger, Paris 1830, p-p. 55-56.

على هذه القبائل المخزنية مثلما اعتمدت على إثارة النعرات والحروب بين القبائل حيث ذكر: "**أما أوضاع السلم فإنها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد**"[1].

بالإضافة إلى أن الاعتماد على المخزنية كان يوفر للنظام العثماني الاستقرار أكثر مما يوفره الجيش الإنكشاري، زيادة على ما يتم من تخفيف أجور هذا الجيش والتخلص من جوره.

وكان عدد المخازنية في بايلك الشرق كبيرا جدا، ففي ميلة مثلا كان يمكن استنفار 10 آلاف فارس في الحالات القصوى لحفظ الأمن وجمع الضرائب. ونفسها القوة كان يمكن تجنيدها في دوائر جميلة ووادي زناتي[2]. وبرغم هذه القوة فإن أحمد باي لم يحسن استغلالها في مواجهة التوسع الفرنسي.

وبفضل هذه القوة المخزنية تمكن النظام العثماني من حماية نفسه من القبائل الجبلية والصحراوية، وكذلك تمكن من مواجهة قوة حمودة باشا بل وبفضلها تمكن من الاستيلاء على أراض خصبة وواسعة. ونتج من هذه السياسة العثمانية القائمة على مبدإ حماية النظام بقبيلة ضد قبيلة بقاءُ قبائل كثيرة معزولة في مناطق جبلية وصحراوية؛ وهو الأمر الذي كان له انعكاس سلبي على "المقاومة" الجزائرية، وانعكاس إيجابي على التوسع الفرنسي بالمنطقة

1 –مذكرات الحاج أحمد باي، المرجع السابق. ص.41.
2- Urbain (I.), "Notice sur l'ancienne province du Titteri", in R.A. 1843, p-p. 400-403.

بعد أن كان له أثر على سوء العلاقات الرسمية بين الجزائر وتونس.

وكانت الأعراش المخزنية تقيم في مناطق حساسة وفي أبراج. كانت من أهمها في بايلك الشرق قبيلة الحشم في برج بوعريريج التي كانت تشرف على الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر العاصمة. وقبيلة أولاد إبراهيم بالكنتور التي كانت تتحكم في الممر الرئيسي من قسنطينة إلى عنابة وسطورة (سكيكدة) إلى ناحية القل برفقة زمالة المعاوية. ودائرة الزناتية التي كانت تسيطر على ممر رأس العقبة الذي كان يربط قالمة بكل من عنابة وقسنطينة. وزمالة بني مَراد التي كانت تحرس الطريق الواصل بين قسنطينة وتونس. ومخزن بوصلاح الذي كان يراقب سوق العثمانية الشهير. ودائرة وادي الذهب التي كانت تشرف على العلمة ونواحيها. وكذلك الغرازلة بعين الترك[1]. ومخزن الزمول الذي كان يشرف على شرق شمال بسكرة. بالإضافة إلى مخزن الأعشاش المتوطن شمال الأوراس. ومخزن ابن الدايخة الذي كلف بحراسة الجبال الجنوبية للأوراس. وعموما كان نفوذ هذه المخازن ملموسا ومحسوسا في ثلثي مناطق البايلك الشرقي[2].

وبهذا تكون المخزنية قد لعبت دورا رئيسا في استمرار السياسة العثمانية متميزة، لعبت دورا متكاملا مع الدور الذي قام به الكراغلة في المدينة، وكذلك مع الدور الذي قامت به الحاميات العسكرية في بعض المدن. ولم

1 - Warnier, et, Carette (A.E. Hyppolyte), Description et division de l'Algérie Hachette, Paris 1847, p. 49.

2 – سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث. ص.271. وكذلك: A.O.M. 10HI

يقتصر دور المخزنية على فرض الأمن وجمع الضرائب فقط بل امتد دورهم إلى حماية مدينة قسنطينة والأراضي المحيطة بها من اعتداءات القبائل الجبلية والسهلية ومن هجمات باي تونس حمودة باشا.

وفي معظم الحالات كانت المخزنية تدفع الضرائب عينا على خلاف القبائل الأخرى التي كانت تدفعها نقدا، الأمر الذي كان يلزمها بيع محصولها بثمن زهيد. بالإضافة إلى هذا فالمناطق النائية عن مدينة قسنطينة لم تكن بمنأى عن يد السلطة العثمانية، فمنطقة الأوراس مثلا برغم مناعتها وتحيز سكانها قد امتد إليها نفوذ العثمانيين الذين أحدثوا بها قيادات مخزنية كانت أهمها ثلاث قيادات هي قيادة الأوراس وكانت مشكلة من 11 قبيلة يتولى القيادة فيها شيخ براتب 3000 بوجو (1 بوجو يعادل 1,86 فرنك). وقيادة باللزمة على رأسها شيخ بنفس الراتب. وقيادة النمامشة يرأسها شيخ براتب 2000 فرنك سنويا.

بالإضافة إلى هذه الرواتب منحت القبائل المخزنية امتيازات أخرى مثل الإعفاء من الضرائب الإضافية والضرائب الأخرى المسماة في الجزائر الوسط باللزمة والمسماة في بايلك قسنطينة بالجبري. وحسب بعض التقديرات كانت الأسرة الواحدة من القبائل غير المخزنية ملزمة بدفع الضريبة الإضافية والمقدرة بـ 115 فرنك أي ما يساوي 28 خروفا سنويا[1] وهي قيمة مبالغ فيها، وقد تكون فرضت على أسر موسعة محدودة.

1 - Marcel (E.), « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », in Information historique, nov-dec, 1952, p. 171.

مجال النفوذ

وبرغم وجود هذه السلطة العثمانية في الشرق الجزائري المدعمة بالقوة المخزنية إلا أن سلطات متعددة وبالتالي مجالات نفوذ متداخلة كانت تسود إقليم قسنطينة حيث كان مجال السيادة العثمانية سائدا، بمثل ما كان مجال النفوذ لشيوخ قبائل وطرق "صوفية". بجانب المجال الآخر لدى نظام بايات تونس على الحدود.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو ما هي الأنظمة السياسية والاقتصادية التي كانت تتحكم في الحياة الاجتماعية بشرق الجزائر العثمانية؟

للإجابة على هذا السؤال يرى ابن اشنهو[1] ضرورة تحديد النظام الاقتصادي المسيطر داخل التشكيلة الاجتماعية وضرورة إدراج هذه التشكيلة في القنوات الاقتصادية الدولية الرأسمالية.

لم يكن رجال النظام العثماني يمتلكون كل الأرض ووسائل الإنتاج وإنما كانوا يستقطعون جزءا منها ويمنحونه لغيرهم بمقابل مادي ومعنوي.

وبواسطة هذا النمط السياسي والاقتصادي كان النظام يفرض سيطرته بالقوة على الجماعة الموالية. في حين كان عاجزا على فرض نفسه على البقية من السكان، لهذا كان مجال سيادته محدودا. لأن النظام العثماني أواخر وجوده في الجزائر اهتم بثروات داخل البلاد أكثر مما اهتم بالثروة من البحر،

1 – ابن اشنهو، تكون التخلف، المرجع السابق، ص. 25.

إذ تعامل الحكام العثمانيون مع الجزائريين بدرجات متفاوتة بأن قسموا السكان إلى أصناف حسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، لا لكونهم رعايا خاضعين وإنما مجموعات سكانية متفاوتة في الواجبات والحقوق، حيث كان الصنف الأول مستغلا من طرف النظام وحلفائه. والصنف الثاني مستقلا وثائرا يعيش معزولا سواء في الجنوب أم في الشمال على السهول أم على الجبال. والصنف الثالث متحالفا مع النظام العثماني وعلى رأسه القبائل المخزنية.

لم تعرف هذه الأوضاع الاجتماعية الطبقية ولا الطبقية الأرستقراطية الدينية، برغم وجود زعامات مرابطية وإنما عرفت التفاوت بحصول البعض من الأفراد على امتيازات. ومن ثم لا يمكن الحديث عن صراع طبقي في المجتمع الجزائري؛ وإنما نشاطر الرأي الذي ذهب إليه عدي الهواري بقوله: **"ولعله من نافل القول التأكيد على أن هذا التفاوت الاجتماعي لا يبلغ حجم التفاوت الذي تتسم به الطبقات في تشكيلة اجتماعية إقطاعية على الطراز الأوروبي"**[1]. في حين نخالف الرأي الذي ذهب إليه لوتسكي من أن الوجود الطبقي الإقطاعي في الجزائر كان كبيرا وهو الذي عرقل تطور البلاد[2].

1 – عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص. 26.
2 – لمزيد من المعلومات يراجع: لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الفارابي، ط. 7، بيروت 1980، ص-ص. 201-208.

ثانيا: من العلاقات التونسية ـ الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر

تؤكد الوثائق والدراسات التي بين أيدينا أنه منذ أن تولى حمودة باشا الحكم على رأس الأسرة الحسينية (1782م) تحسنت الأوضاع داخل البلاد التونسية بما فيها أحوال تونس الخارجية، سواء في ميدان العلاقات التونسية ـ الأوروبية، أم التونسية ـ الجزائرية[1]. إذ إنه على الصعيد الداخلي طبق حمودة باشا سياسة "نهضوية" مست معظم القطاعات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وظف خيرة البعض من المماليك أمثال مصطفى خوجة ويوسف خوجة صاحب الطابع وغيرهما[2] بجانب أبناء البلاد العارفين لأمور السياسة والمدركين للعوامل المحركة والمتحكمة في المجتمع التونسي والموجهة للسياسة الدولية حيث استخدمهم في المهمات الإدارية وحتى العسكرية. وكان لهذه السياسة دور في تحديد نوعية العلاقات بين النظامين؛ إذ يشهد لحمودة باشا ولصاحب الطابع بعد النظر والحنكة الدبلوماسية؛ من ذلك أنه قام مع حلفائه وأعوانه من أهل البلاد مثل الحاج ابن يونس الجربي وآل الجلولي وآل بن عياد بأخذ قسط من التجارة الخارجية

1 ـ للتعرف على أوضاع تونس عهد حمودة باشا يراجع كل من:
* ـ رشاد الإمام؛ سياسة حمودة. المرجع السابق
• Chérif (M. H.), «Hammūda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », Les Africains, t. 7, édi. Jeune Afrique, Paris 1977, p-p. 103 - 127.
2 ـ لمعرفة شيء عن صاحب الطابع يراجع:
• Sadok (Z.), Les précurseurs, 2è éd. Bouslama, Tunis 1979, p-p. 17-37.

من أيدي التجار الأوروبيين. مثلما تعامل مع قناصل الدول الأوروبية بمساواة من دون أن يسمح لطرف أن يحظى بامتيازات أكثر عن الطرف الآخر مستغلا ظروف الحروب الأوروبية ليعدل الكفة لصالح بلاده وليقيم علاقات شبه متكافئة مع الدول الأوروبية الأمر الذي أدى إلى إحداث توازن بين الأطماع الأوروبية في تونس، وهو الأمر الذي أقلق فرنسا فتدخلت في شؤون تونس محاولة إبعاد أطماع الدول الأوروبية الأخرى.

ويعد هذا التدخل محور سياستها التقليدية منذ أواخر القرن 17 إلا أن حمودة باشا قلل من تأثيرها في تونس منذ عام 1789 مستغلا ظروف الثورة الفرنسية[1]. لكنه بعد موت حمودة باشا صار تدخلها ملموسا أكثر في تونس واستفحل تدخلها بعد انقلاب ميزان القوة بداية من عام 1815. وظل تدخلها قويا بعد احتلالها للجزائر.

من جانب آخر ساعدت العلاقات العدائية التي كانت بين نظامي الحكم في كل من الجزائر وتونس على أن يتغلغل النفوذ الفرنسي أكثر في تونس.

1 ـ كانت النمسا من الدول التي لها نفوذ بالمنطقة إذ تمكنت من ربط علاقاتها بنظام الحكم في تونس منذ سنة 1793. ودعمت هذه العلاقات أكثر بداية من عام 1821 يراجع:
• A. N. T. dossier 698, carton 252.
• Chérif (M. H.), «Hammūda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », in. Les Africains, p - p. 114 - 116,
• ـ الذي ساعد حضور النمسا القوي في منطقة المغرب العربي عدم تعرض الباب العالي لما بل سبق وأن أمر الباب العالي عام 1827 حكام الولايات الثلاث بعدم التدخل في الصراع القائم بين النمسا والمغرب. للمزيد ينظر: بيرم محمد الخامس، القطر التونسي في صفوة الاعتبار، المصدر السابق، ص. 430.

وكان تدخلها يستند إلى شرعية المعاهدات؛ سواء التي أبرمت بين السلطنة العثمانية وفرنسا أم التي أبرمت بين هذه الأخيرة وبايات تونس منذ زمان سابق[1].

ومن مظاهر تلك العلاقات العدائية بين النظامين في كل من تونس والجزائر أن كل طرف كان يحرض فرعا من قبيلة موال له على التخوم ليثور ضد الطرف الآخر؛ من ذلك أن باي تونس استغل الصراع بين فرعي قبيلة النمامشة وقرب إليه فرع أولاد خيار وهجم به عام 1714 على الفرع الآخر وهم الأعشاش[2]. ويمكن القول إنه منذ حوادث عام 1756 صار النظام الحسيني في وضع تبعية لدايات الجزائر الذين لم يحسنوا التصرف في البلاد التونسية بداية من القرن 19 أي إلى تاريخ معركة سراط عام 1807[3] التي أنهت هذه التبعية رغم الهجمات البحرية الجزائرية على السواحل التونسية. وقد تمكن حمودة باشا من كسب أنصار له في قطاع الشرق الجزائري؛ من ذلك

1ـ منذ اعتماد قنصل فرنسي في تونس عام 1583 شرعت فرنسا في عقد سلسلة من المعاهدات مع حكام تونس مثل معاهدة أعوام: 1604، 1665، 1672، 1685، 1698، 1710، 1720، 1728، 1742، 1762، 1770، 1774، 1824.

2- Féraud (Ch.), «Les Harar», op. cit. p. 325.

3 – بعد فشل حمودة باشا في حصاره لمدينة قسنطينة جهز جيشا قويا وانتصر به في هذه المعركة. يراجع: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط. 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1373هـ، ص. 158.

أن أحمد الشاوش[1] صاحب النفوذ في الشرق الجزائري قد تمكن من قتل باي قسنطينة والتحالف مع باي تونس حين هاجم قسنطينة عام 1807.

استغلت فرنسا قبيل وبعد حملتها على الجزائر هذا العداء الرسمي المستمر بين الطرفين وتقربت من النظام التونسي الذي وجد في فرنسا هو الآخر سندا قويا للتخلص من التهديدات العثمانية سواء التي كانت من الجزائر أم التي كانت من اسطامبول[2].

ويلاحظ على سياسة خلفاء حمودة باشا في عهده وعلى ممن خلفوه أنها اعتمدت على الأجانب وبخاصة على الفرنسيين. وقد لعب القناصل الدور البارز في زيادة النفوذ الفرنسي بهذا البلد. وكان في مقدمتهم القنصل فامان (Famin) إذ منذ عام 1815 حدث تحول في العلاقات التونسية-الفرنسية[3]، بأن حصلت فرنسا بمقتضى معاهدة عام 1824 المبرمة بينها وبين تونس على امتيازات كثيرة وظفتها للتحكم أكثر في شؤون تونس الداخلية، وازداد تدجين حكام بايات تونس لفرنسا أكثر بعد معركة نافاران عام 1827 وبعد

1 ـ أحمد الشاوش أصله تركي يدعى بوترثورة كان في خدمة النظام العثماني في الجزائر العاصمة هرب إلى الشرق الجزائري بعد مقتل سيده مصطفى باشا (1798 ـ 1805) وبوصوله تمكن بعصبة الإنكشارية من الثورة على نظام الحكم في قسنطينة والتقرب إلى حاكم تونس. للمزيد من المعلومات يراجع:

• Mercier (E.), Hist. de Constantine, op. cit. p — p. 329 - 334.

2 ـ للتعرف على مواقف حمودة باشا من الباب العالي والنظام العثماني في الجزائر يراجع:

• Chérif (M. H.), «Hammūda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne», in Les Africains, p - p. 121 - 126.

3 - Chérif (M. H.), «Expansion européenne et difficultés tunisiennes 1815—1830», in Annales E. S. C. mai - juillet 1970.

تورطهم في الديون. في وقت كان تخوفهم كبيرا من السلطان العثماني فكانوا يميلون أكثر إلى فرنسا فصارت سياسة تونس في شبه تبعية لفرنسا خلاف الأمر الذي كانت عليه سياسة الأسرة الحسينية عهد حمودة باشا إذ بالرغم من أن مصالحه ومصالح الطبقة الحاكمة كانت مرتبطة إلى حد ما بمصالح فرنسا لكنه قطع في نهاية الأمر علاقاته مع فرنسا مع الحفاظ على أموال رعاياها ومراعاتهم بتونس؛ يعني أنه سلك سياسة متميزة بمعية يوسف صاحب الطابع وشركائهما مثل الحاج يوسف مست هذه السياسة المصالح الفرنسية وقلصت من امتيازات الأجانب.

على ضوء هذه المعطيات المحلية والدولية يمكن القول إن نوعية العلاقات بين الشرق الجزائري وتونس كانت في مستويين الأول رسمي والآخر شعبي وكانت تتحكم فيهما عوامل كثيرة؛ ثقافية واجتماعية وحتى إقليمية جغرافية حيث كانت نقاط التماس بين مفاصل التشكيلات السكانية الممتدة على الساحل التلي أو الصحراوي من الجزائر إلى تونس ثقافية واجتماعية أكثر مما كانت سياسية. إذ كان لشيوخ الدين الطرقيين دور فاعل في إقامة الروابط بين السكان في كلا البلدين. ولنا أن نذكر بما قامت به كل من الرحمانية والتيجانية والشابية من تقارب بين سكان الولايتين. فنفوذ الرحمانية والتيجانية كان واسعا في البلاد الجزائرية والتونسية معا. ونستشهد بدور

الزاوية الرحمانية في نفطة بالجنوب التونسي[1]. وكذلك الزوايا القادرية والتيجانية المنتشرة بكثرة في التراب التونسي موازاة مع تأثير الشابية الذي كان كبيرا في المجتمع الجزائري الذي إذ اتسع أكثر في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولهذا لا يستغرب من المناصرة التي كان يلتزم بها كل طرف لصالح الطرف الآخر في هذا البلد أو في ذاك أثناء الحروب؛ سوا التي أكانت ضد البايات في كل من الجزائر وتونس أم التي كانت ضد فرنسا. مثلا لما ثار علي بن غذاهم فيما بعد عام (1864) ضد الباي التونسي تلقى من المساعدات الجزائرية بما مكنه من الصمود طويلا حيث وقف بجانبه محمد العيد التيجاني المتوطن بتماسين في الجنوب الجزائري[2]. والدور نفسه التزمت به قبيلة عبد النور الموجودة في ناحية قسنطينة حين ناصرت وأوت علي بن غذاهم ومن معه والبالغ عددهم 3000 فرد رغم مضايقة الفرنسيين لهذه القبيلة.

ولم تكن قبيلة عبد النور وحدها التي ناصرت علي بن غذاهم بل كانت

---

1 ـــ مصطفى بن محمد بن عزوز أصله من قرية البرج بوادي سوف وهو مؤسس زاوية رحمانية في نفطة بتونس.

2 ـــ لمعرفة شيء عن ثورة علي بن غذاهم يراجع: التميمي، عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1972، ص. 19 وما بعدها. ولمعرفة شيء عن دور بعض المرابطين في إحداث التقارب بين سكان البلدين، نذكر منهم سيدي عبيد الذي كان له نفوذ واسع على جدود البلدين، لمعرفة شيء عن ذلك يراجع:

• Murati, «Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa» in Recueil 1936- 1937, Société de préhistoire et d'archéologie de Tebessa, Baconnier, Alger 1839, p. 267 - 279.

قبائل وأسر أخرى كأسرة أولاد سيدي الشيخ.

ومن العوامل التي ساعدت على أن يكون هذا التعاضد الشعبي عدم وجود حدود مغلقة بين الإيالتين لأنها كانت حدودا بشرية غير ثابتة مثلما سبق ذكره. فتنقل القبائل في تراب الإيالتين مستمر والولاء لم يكن واحدا ومستمرا لدى أحد النظامين.

والشاهد أن جزءا من رعايا تونس كانوا دائمي التضحية من أجل الجزائريين الثائرين، خاصة بعد عام 1830، التضحية المحكومة إلى الرابطة الدينية (ضد الكفار)، وإلى الأحلاف القبلية وإلى ما تقوم به الطرقية من توحيد روحي بين سكان البلدين حيث كانت الأرض التونسية موطن استقرار لكثير من الجزائريين، من الأعيان كانوا أو من العامة. من ذلك أن شيخ أولاد عبد النور وهو المرابط الصادق بن يحي اصطحب معه وثائق هامة واستقر في الكاف[1]. الشيء نفسه قام به الحاج محمد الصغير خليفة الأمير عبد القادر على بسكرة الذي لجأ إلى التراب التونسي وهو الآن دفين تـوزر، ولنا أن نعرض مجموعة من المراسلات النادرة لهذا المجاهد تبادلها مع رجال الحكم التونسي نذكر منها:

- **الأولى** إلى مصطفى خزندار في تاريخ 15 جمادى 1260هـ-1844.
- **الثانية** إلى صاحب الطابع في يوم 16 جمادى 1260هـ /1844م.

1 - Féraud (Ch.), Kitab El – Adouani ou le Sahara de Constantine op. cit. p. 5.

- **الثالثة** إلى صاحب الطابع في 2 رجب 1262 هـ / 1845م.
- **الرابعة** إلى أحمد باشا في 3 رجب 1262هـ/1845م.

جاء في الرسالة **الرابعة** أن محمد الصغير وجد في تونس الأرض الطيبة للإقامة حيث قال: "**بأن أمرك المطاع قدم إلى سليم قايد نفطة في شأننا بأن لا تدخلوا إلى إفريقية أو نخرج من العمالة... ولم يمكننا الإقامة هنا امتثالا لأمر سيادتكم فهانا انتقلنا إلى سوف وبقينا منتظرين لأمرك فإن أمرتنا بالرجوع فنرجع**"[1].

وتناولت الرسالة **الثالثة** الموضوع نفسه حيث طلب فيها التدخل لنيل الحظوة من باي تونس والسماح له بالبقاء في هذا البلد بعيدا عن خطر العدو[2].

الرسالة **الثانية** إلى مصطفى صاحب الطابع قدم له وصفا عن الحروب التي خاضها ضد كل من الفرنسيين وشيخ عرب الزيبان إذ قال: "**إن عدو الله الفرنصيص كلف خديمه المتولي أمر العرب والزبان... بمقاتلنا عدو الله ابن قانة فوقعت بيننا وبينهم معارك نحو الخمسة عشر معركة وفي هذه السنة أقبل علينا ولد الراي[3] ...وهاجر ناس البلاد**"[4].

الرسالة **الأولى** إلى خزندار يعلمه بحروبه ضد الفرنسيين وانتصاراته "**اليكم**

1 ــ ملحق رقم 4.
2 ــ ملحق رقم 5
3- ولد الراي وهو الدوق دومال الذي يعني ولد الملك (Le Roi).
4 ــ ملحق رقم 6

في شريف علمكم أن عدو الله ولد الراي قبل إلى نواحينا ووقعت بيننا وبينه محاربات"[1].

يستنتج من هذه المراسلات وغيرها أن كثيرا من أعيان الجزائر وقادة المقاومة بها كانوا على اتصال دائم بتونس يكنون الاحترام لها ويرون فيها الملجأ الذي يقيهم خطر العدو، لأن تونس كانت مقرا هادئا لوجهاء الجزائر ومعبرا آمنا لتأدية فريضة الحج، إذ كان الوجهاء يتوجهون مزودين برسائل تزكية من شيوخ الطرق "الصوفية" ببلادهم تشفع لهم وترجو حسن الإقامة من حكام تونس؛ من ذلك أنه جاء في إحدى الرسائل التي وجهها عمر خليفة أبي الحسن السيد علي بن عيسى مرابط جرجرة على الطريقة الرحمانية إلى حاكم تونس: **"سيدنا أمير المومنين إن حامل الورقة إليكم رجل صالح نسبه شريف.. خرج مهاجرا... والآن أراد القدوم إلى بيت الله الحرام... أن تكون في عونه.."**[2].

يفهم من مراسلات رجال النظام التونسي أن الجزائريين لا يضايقون حين قدومهم إلى تونس والاستقرار فيها، خاصة إذا كانوا مواطنين عاديين غير متابعين من السلطة الجزائرية. وقد أكد مصطفى باي هذا بقوله: **"وإذا كان من غير الأعيان وكان طالبا للمعيشة في بلدنا فلا نعتني بقدومه ولا نسئل**

1 ـ ملحق رقم 7

2 ـ ملحق رقم 8

عنه فهذا إذا الوجاق المستوية أهلها يتمعشون من بعضهم"[1].

هذه إشارات عن العلاقات في بعدها الشعبي، الأمر الذي يؤكد ما للأخوة الإسلامية من تأثير بالغ على هذه العلاقات.

أما عن العلاقات الرسمية بين الولايتين فهي كانت مشوبة بالحذر والترقب، خاصة أثناء فترة حكم حمودة باشا، وهي الفترة الحاسمة في تاريخ البلدين، إذ كانت مشدودة إلى مشاكل كثيرة، منها مشكلة التخوم "الحدود" بين البلدين، ومشكلة الولاء القبلي والأسري، ومشكلة الوصاية العثمانية والامتيازات الأجنبية. إذ أن التخوم أو الحدود بين البلدين لم تكن مرسومة سياسيا خلال العهد العثماني وإنما كانت محددة اجتماعيا بمواطن ولاء السكان المنتشرين على حدود البلدين والمتنقلين من إيالة إلى أخرى حسب الظروف والمصالح.

وكانت أهم الأعراش الرحالة والمستقرة تمثل مركز التأثير على الحدود، خاصة تلك التي تتوطن من جهة الجزائر ونذكر منها من الشمال إلى الجنوب: مرداس وبنو صالح والحنانشة وسيدي يحي بوطالب والنمامشة والشعانبة والربايع، وغيرها من الأعراش المنتشرة إلى غاية وادي سوف. ومن جانب الغرب التونسي كانت فروع الهمامة المشكلة من ثلاثة فروع هي: أولاد عزيز وأولاد رضوان وأولاد معمر. بجانب عرش كل من الزغالمة وورغة والفراشيش هذه الأخيرة كانت مشكلة من ثلاثة فروع هي: أولاد

1 - ينظر ملحق رقم 2

ناجي، أولاد علي أولاد غزاز.

وكانت العلاقات سوأ بين هذه الأعراش نفسها أم التي كانت بين هذه الأعراش ومثيلتها المتوطنة في الطرف الآخر من البلد الآخر كانت كلها قائمة على العوامل السابقة الذكر، ولاسيما عامل المصاهرة، هذا العامل الذي أدى مع مرور الأجيال إلى التكاثر والامتزاج[1].

ومن العوامل القوية التي كانت تقارب بين الولايتين: المدن القائمة على قرب من تخوم البلدين التي كان لها الدور الفاعل في تحديد نوع العلاقات، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومن أهم المدن **الكاف** التي كانت للجزائريين قبل تأسيس مدينة سوق اهراس سوقا للتجارة، وملجأ لكسب الثروة، ومركزا للتبادل الثقافي. مثلما كانت توزر ونفطة موطنا آمنا للجزائريين. وكان وادي سوف وتوقرت موطني استقبال ونشاط للتونسيين؛ حيث كان علماء وشيوخ البلدين يفدون إلى هذه المدن من دون صعوبة. من ذلك كان العالم مبارك التوزري الذي وفد إلى تماسين. وكذلك العالم

1 ــ لمعرفة شيء عن هذه المصاهرة يراجع:

- A. N. T. Dossier 6, carton 504.
- -A. N. T. Dossier 5, carton 504.

المكي التوزري والعربي القيرواني[1]. وقد تولى تونسيون وظائف هامة في البلاد الجزائرية، من ذلك أبو حفص عمر بن محمد الذي أسندت إليه مهام القضاء العسكري في عهد الباشا محمد بكداش. ومثله محمد زيتون الذي تولى القضاء الحنفي في عهد الباشا شعبان خوجة.

وتجول علماء تونسيون في البلاد الجزائرية أمثال أحمد بن مصطفى برناز[2].

ومن الجانب الجزائري هاجر وتوطن كثير منهم في تونس، أفرادا وأسرا منهم أسرة المقراني وبوعكاز وبنو اسحق وأبناء عزوز وأبناء زقوطة، وغيرهم الذين هاجروا نتيجة ضغط السياسة الفرنسية المجحفة ورفضهم لها. وكانت هذه الأسر الدعم الكبير للثورة التحريرية فيما بعد.

ومن القضايا ذات المصير المشترك التي كانت توحد الصفّ بين الشعبين: محاربة بعض القبائل لبايات الولايتين، مثلما وقع مع الحنانشة والنمامشة

1 ــ بن محمد الناصي العوامر، إبراهيم، الصروف. المرجع السابق، ص. 31 وما بعدها. وتتحدث مصادر عن دور مهندسين تونسيين أقاموا منشآت عمرانية زاهرة في الجنوب الجزائري، ومن الشواهد على ذلك ما كتب على إحدى الواجهات لمسجد بالجنوب الجزائري: "هذي تذكرتنا، من نظر فيها يدعو لنا بالرحمة والغفران ولكاتبها أحمد بن الحاج التوتي بالعافية والعاقبة العالية. تم بنيانه على يد محمد بن عمر التونسي 1214هـ (1799 م)". يراجع: بورويبة، رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، ش. و. ن. ت.، الجزائر 1979، ص. 229.

ولمعرفة تفصيل عن سكان التخوم الجزائرية ــ التونسية يراجع:

- Pellissier de Reynaud, Description de la Régence de Tunis Imp. Impériale, Paris 1853.

2 ــ لمعرفة أسماء الذين ساعدوا على إحداث الروابط بين تونس والجزائر في مجالات علمية يراجع: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص. 436 وما بعدها.

أثنـــاء انتفاضتهما ضد بايات قسنطينة فاستعانا بنظام الحكم التونسي وبأطراف تونسية شعبية [1]. وكذلك حدث أن تدخلــت بعــض القبــائل الجزائرية، وناصرت الصف الحسيني ضد الصف الباشي بتونس في النصــف الأول من القرن الثامن عشر.

ومن العوامل التي كانت تقرب بين الولايتين: التجارة التي عرفت رواجــا عن طريق الاستيراد والتصدير، حيث كان الجزائريون يستوردون كميــات هائلةً من البارود والحبوب. وكان التونســيون يستوردون مــواد هامــة كالشمع، بجانب رواج الريال الفضي التونسي بالشرق الجزائري (مثلما سبق ذكره) ويؤكد هذا ما جاء في إحدى مراسلات داي الجزائر عــام 1821 إلى حاكم تونس: **"قد بلغنا... أن البعض من مراكيب الجرابة قد حمل أهلــه معهم بداخلها البارود والرصاص والأسلحة الحربية، وقدموا بها إلى نواحي عمالتنا وسواحلها البحرية وباعوا جميعا إلى فرق قبايلها الجبلية العصــات الباغية التي لا تنالهم الأحكام الشرعية ثم اشتروا ممن كان هناك مـا أرادوه من الشمع وغير ذلك.... أن تنبهوا على رؤسائكم... حتى لا يعودوا"**[2].

---

1 ــ رفضت أعراش كثيرة الخضوع لأحمد باي قسنطينة، فقام بحملات ضدها الأمر الذي دفــع شيخ الحنانشة الزين بن يونس كي يلجأ إلى تونس ويحتمي بها، للمزيد يراجع:
• Mercier (E.), Histoire de Constantine op. cit, p. 359, 364
• Ali Efendi, Souvenirs d'un voyage, op. cit.
2 ــ رسالة الداي حسين إلى محمود باشا في شعبان 1237هــ الموافق عام 1821م ينظر:
• A. N. T. Doss384, Cart. 223

• ينظر ملحق رقم 9

وكانت لداي الجزائر مراسلات كثيرة مع باي تونس حول مواضيع مختلفة منها، رسالة بعث بها إلى حسين باي باللغة التركية في تاريخ23 جمادى الثانية 1243هــ يطلب منه ألا يسمح بمرور عساكر جزائرية إلى ولايــات الدولــة العثمانية.

وبعد سقوط قسنطينة اشتكى الحاج أحمد باي من أعراش الجوامع الذيــن لجأوا إلى التراب التونسي، وعملوا على إثارة الأعراش ضده فبعث إلى حاكم تونس يقول: **"وكذا محبنا أن عمار الشايب والجوامع واهم عاملين أنفسهم هاربين إلى إفريقية وجاعلين أنفسهم سلكوا في قشهم وأثاثهم ويختلــون بالناس بالفساد وأنت تعرف أمور العرب"**[1]. ويذكر في رســالة أخــرى: **"ونخبرك محبنا فإن الجوامع أتوك هاربين ولكن أنت جعلت عليهم قــايدا وينزلون في إفريقية فإذا بهم أتوا بقائدهم ونزلوا في تبسة ويفعلون بــالأمور الفاسدة التي لا ترضيك ويأتون بالخيانة ويسوقوا من إبلنــا وهويرنــا... وكذا محبنا تأمر قايدهم يرحلوا وينزلوا بهم في نواحي سراط وإن بقوا هنا إن فعلت معهم العيب لا تلوم علينا"**[2].

ومن جانب آخر حدث الشيء نفسه مع أعراش تونسية خلال ثوراتهــا

• في هذا العام 1821 أرسلت الدولة العلية مبعوثها الذي أمر بحفظ الوحدة وترك الحرب بــين تونس والجزائر وعمل بأمره. ينظر: بيرم محمد الخامس، القطر التونسي في صفوة الاعتبار، المرجع السابق، ص. 82.
1 ــ ملحق رقم 10
2 ــ ملحق رقم 11

ضد بايات تونس كثورة علي بن غذاهم. أو مع الفراشيش الذي ثار شيخهم الحاج حراث الفرشيشي (1815 ــ 1890) ضد بايات تونس، فوجد مساعدة كبيرة من أطراف جزائرية.

لا يعني هذا أن العلاقات الشعبية بين الطرفين كانت كلها تعاطفا، بل كانت في جانبها الآخر عدائية بحكم العصبية القبلية الانقسامية، إذ كانت تحدث حروب بين الأعراش المتوطنة على تخوم البلدين؛ مثلما هو الحال بين كل من **الشعانبة** في الجنوب الجزائري، **وبني يزيد** في تونس. إذ جاء في وثائق كثيرة أن قبائل أثارت الشغب على الحدود، ففي رسالة حاكم تبسة إلى إبراهيم باي ذكر: "**قترانا في أشد الحصار والأبواب مغلقة. وأحاط بنا الهول من كل جانب فإن الزغالمة من رعية تونس نازلة علينا وجميع عروبتنا الذين بقربنا كلهم رجعوا إلى تونس، وبقينا في وسطهم العطش. ليلا و نهارا فإن خرج من البلد نهب المال وقتل الرقاب، فإن عزمتم إلينا وجعلت أمرا يليق ببلدكم فتنجدونا، وإن لم تجعلوا فخلفكم على الله في البلد**"[1].

يعني هذا أن التحرشات كانت بين الطرفين على التخوم، ولكنها لم تبلغ مستوى المواجهة الحربية بين حكام البلدين. ولعل هذا الذي دفع التميمي عبد الجليل إلى القول بوجود علاقات أخوية طيبة بين النظامين خلال حكم

1 ــ ملحق رقم 12

الحاج أحمد باي، وأسس حكمه على قيام كبير المساعدين للحاج أحمد باي وهو علي بن عيسى بزيارة شخصية لتونس في جويلية 1828[1].

ومع ذلك كان الاستياء بين الطرفين كبيرا، إذ ذكر أحمد باي حاكم قسنطينة في رسالة له إلى حسين باشا: "**بلغنا جوابكم في شأن وشتاتة، وهم فرقة في وطن الحنانشة لهم عليهم عوايد من قديم الزمن محسوبون من رعيتهم جاري عليهم مختلطين مع غيرهم كثرت بهم الشكاية وفشا فسادهم وبانت منهم الإذاية حتى تعدى شرفهم لبعض من دايرتنا أخذوا سعيهم ووجد بعينه بعد أخذهم فلم يأخذوا إلا رعية وطن الحنانشة وهؤلاء رعيتكم المعلومة كشارن وأولاد بوغانم وورغة**"[2].

وذكر حمدان خوجة الذي زار باي تونس إثر عودته من المشرق إلى الجزائر، ذكر أن الجزائريين ارتكبوا أعمال نهب وتجاوزات في حق التونسيين عام 1756 وحتى بعد هذا التاريخ[3]. وأكد الحاج أحمد باي هذا النهب الذي استمر إلى ما بعد سقوط قسنطينة، حيث اشتكى إليه والي الكاف فكان رد الحاج أحمد باي: "**بأنني لم أعد سوى حاكم مخلوع لا يملك أية سلطة تقريبا**"[4].

1 ــ براجع: Temimi (A.), Le Beylik de Constantine, p. 81

2 ــ ملحق رقم 1

3 ــ براجع:

- Khoudja Hamdan, Le Miroir, op. cit. livre. 1, chapitre. 13.

4 ــ مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص. 84.

وفي جهة أخرى يفهم من بعض المراسلات أن حاكم القالة الفرنسي، طلب سنة 1833 من الأعراش المتوطنة على الحدود التزام الولاء لفرنسا، فكان رفضها قاطعا الأمر الذي ألزم هذا الحاكم بشن حملات قوية وصلت إلى ناحية جبال خمير[1].

ويمكن اعتبار هذا العمل العسكري الفرنسي أول تحرش مسلح ضد تونس. وكان لهذا التحرش رد فعل تونسي وجزائري، خاصة من عند المتوطنين على حدود البلدين، نذكر من ذلك مقتل الضابط الفرنسي برست وهو ما سنبينه في حينه.

وكان ذلك التصادم بين سكان مناطق التخوم من مميزات الحياة العادية لتلك الأعراش؛ إذ كان الصراع شبه دائم حتى داخل أسرة العرش الواحد. وكان كذلك بين قبيلة وأخرى داخل التراب الواحد والموطن الواحد. مثلما كان يجري بين النمامشة والحنانشة في الجزائر، وبين بني يزيد والهمامة في تونس. ويمكن الحكم على هذا اللون من الصراع بأنه كان محكوما إلى العصبية القبلية وإلى طبيعة الحياة القاسية، وإلى طبيعة النظام السياسي القائم في كلا البلدين، والذي كان مجال السيادة فيه ضعيفا، لأن النظام المركزي في كلا البلدين: الجزائر وتونس لم يتمكن من السيطرة على تلك الأعراش، بل كثيرا ما كان هذا النظام يلجأ إلى إثارة الشغب بين سكان المنطقة لإضعافهم

1 ـ رسالة عمار بن علي إلى رجال السلطة التونسية في تاريخ 1249هـ، الموافق لعام 1833.
• A. N. T. Doss384. Cart 223.

ومنعهم من إثارة القلاقل ضده. من ذلك أن ورغة حرضت ضد باي قسنطينة، فبعث هذا الأخير إلى حسين باشا تونس يشتكي من هذه التجاوزات. وقد رد مصطفى باي لأخيه حسين باشا قائلا: "وقوله (أي قول باي قسنطينة) **إن ورغة قد تجاوزوا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم نتجاوزه، ولا زلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وبحدودها، فإذا وجدهم قد تجاوزوا حدهم ولو قدر شبر فإنا نرجعه**"[1]. واستمر الحال هكذا إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي.

إذن فالصراع كان محكوما إلى هذه الخلفية. ولم يكن محكوما إلى صراع "وطني" (جزائري ضد تونسي من أجل الجزائر كوطن أو العكس) الأمر الذي يجعلنا نقول بغياب البعد الوطني السياسي بمفهوم هذا العصر في مخيال المواطن في كلا البلدين لأنه ببساطة من الصعوبة بمكان التحدث عن "الوطنية" في هذا العهد.

وبالرغم من وجود مثل هذه الصراعات الناتجة عن صفوف الأعراش المتعادية، إلا أن الطابع العام للعلاقات القائمة بين قاعدتي الهرم الاجتماعي لدى البلدين، كانت مترابطة بالتحالف والمصاهرة، والمصالح الاقتصادية

1 ـ ينظر ملحق رقم 2
2 ـ للمزيد من التعرف عما أثاره سكان المنطقة من قلاقل يراجع:
• A. N. T. Dossier 229 à 247, carton 212.

المتبادلة، والوضع الثقافي والسياسي المتشابه، الأمر الذي أدى إلى نتيجة هامة يمكن توضيحها في أن علاقات التصادم كانت ظرفية ومحكومة إلى عوامل سياسية. خلاف علاقات التقارب التي كانت مستمدة من الروابط الحضارية والثقافية وحتى العرقية. لأن الاختلاط الأسري كان كبيرا بين السكان، خاصة بين المتوطنين على حدود البلدين إلى درجة القول "بأولاد" الذي يعني وطن هذه الأسرة أو تلك المنتشرة في البلدين، ومنهم أولاد سيدي عبيد، وأولاد يعقوب، وأولاد رضوان، وأولاد مومن، وبنو سليم، وونشتاتة، والجوامع وطرود.

ومن مظاهر العلاقات الرسمية التمثيل "الديلوماسي". إذ كان لولاية الجزائر وكلاء في تونس ولم يكن لهذه الأخيرة ممثلون في الجزائر. ولعل السبب في ذلك يعود إلى نظرة وجاق الجزائر لولاية تونس، التي كانت مثلما وصفه حمدان خوجة كانت نظرة تبعية.

هذا في الفترة الممتدة من 1756 إلى 1807 لاسيما بعد أن تمكن الوجاق من تحقيق انتصارات عسكرية على حساب جيش الأسرة الحسينية[1].

ومن دلالات الخضوع لولاية الجزائر التزام حكام الأسرة التونسية بدفع إتاوات في شكل هدايا وزيوت خلال فترات تاريخية بعد إرجاع أولاد

1 — Khoudja Hamdan, le Miroir, chapitre 8

جرت حروب كثيرة بين الطرفين يمكن مراجعتها في:

• Mohammed (S. B. Y.), Chronique Tunisienne, tr. par Victor (S.), et Lasram, éd. Bouslama, Tunis 1978, chapitre 12, et, p. 34, 44, 47.

حسين بن علي إلى الحكم عام 1756 بدعم عسكري "جزائري".

والسؤال المطروح هو: هل كان دفع الإتاوات خوفا من سلطة ما؟

من غير المستبعد أن يكون هذا الدافع لخوف من السلطان العثماني أو من جيش الجزائر، خاصة خلال عهد حمودة باشا الذي خالف الإرادة العثمانية وطرد القرمانليين من طرابلس، وعوضهم بضابط تركي هو علي برغل (ما بين 1793 — 1795)[1]. زيادة على هذا إن الجيش الجزائري منذ عام 1798. لم يعد يشكل خطرا على عرش حمودة باشا. ولهذا لم ينصع حمودة باشا للسلطنة العثمانية. وما كان من استجابة باي تونس "بالطاعة للسلطان" أحيانا، إنما لدوافع دينية وسياسية، وهو ما لم يتناقض كليا مع مصالحه وإنما هو غطاء أيديولوجي لواقع فرضه ميزان القوة.

وكان النظام التونسي من جهته يعتمد على الجواسيس بدلا من اعتماده على وكلاء له في الجزائر، وقد تمكن من استمالة بعض العناصر الجزائرية

1 — ذكر رشاد الإمام، سياسة حمودة، المرجع السابق. ص. 361 — 362 أن حمودة باشا رفض الامتثال للسلطان العثماني حين أمره بضرورة قطع العلاقات مع فرنسا، إثر احتلالها لمصر، لكنه نفذ أمر السلطان بضغط من داي الجزائر. وإن كان أحمد بن أبي الضياف: أقرّ رأيا آخر وهو "من أن المملكة التونسية تقر لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وللسلطان العثماني بالطاعة. ولم يختلج في صدر أحد أمرائها دعوى للاستقلال، ولا خروج عن ربقة الطاعة، الواجبة شرعا وسياسة. إذ لا يدّعي الاستقلال إلاّ من يقدر عليه". يراجع: إتحاف أهل الزمان. ج. 6، منشورات الجامعة التونسية، 1964، ص. 13 — 16. لكن المؤكد من جهة أخرى، أن حمودة باشا عمل على حماية تجار بلاده في مصر، من خطر الحملة الفرنسية على مصر عام 1798. للمزيد يراجع:

▪ Cherif (M. H.), «Hammûda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne», Les Africains, p. 118.

لترصد خطوات السياسة العثمانية في الجزائر. من ذلك أن حمودة باشا جلب إلى صفه عاملين ووكلاء من داخل الجزائر، وحتى من الوكــــلاء المعتمديـن رسميا من طرف حكام الجزائر، ومنهم الحاج محمد البرادعي[1]. وبعد احتــلال الجزائر صار لباي تونس وكلاء في الجزائر.

ومن مظاهر العلاقات الرسمية: المراسلات المتبادلة بين الطرفين حول قضايا متعددة، كتلك التي بعث بها داي الجزائر إلى باي تونس في تاريخ 23 جمـادى الثانية 1243هـــ/ 1826م وطلب منه فيها ألا يسمح بعبور عساكر جزائرية من الجزائر إلى الولايات العثمانية[2].

ومن جانب آخر كانت العلاقات التونسية الجزائرية متـــأثرة بالعلاقـــات الدولية، خاصة العثمانية والأوروبية. وكان للعلاقات التونسية الطرابلسية أثر في علاقات تونس بالجزائر، من ذلك أن هذه الأخيرة كـــانت تتقــرب إلى حكام طرابلس، في وقت كان فيه هؤلاء الحكام في حروب تاريخية ضد بـلي تونس[3]. من ذلك أن علي برغل حين تمكن من السيطرة على طرابلس، فكــر في احتلال تونس بدءا بجربة التي وصلها عام 1794، الأمر الذي ألـــزم بـــاي تونس الهجوم على طرابلس بمعية القبائل مثل المزارقية[4] ففر علي برغل ورجع

1 ـــ عرض رشاد الإمام تفصيلا موثقا عن هذه الوظيفة، يراجع: سياسة حمودة باشـــا، ص. 384 ـــ 385.

2 — A. N. T. Dossier 384. cart 223.

3 ـــ سبق لحاكم طرابلس منذ عام 1558 أن احتل جربة، ينظر: فيرو شارل، الحوليات الليبيـــة، ترجمة، محمد بن عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، ليبيا 1973، ص. 164 ـــ 165.

4 ـــ المزارقية فرسان القبائل المخزنية التي كانت في خدمة البايلك منذ أواسط القرن 17.

القارمانليون إلى عرشهم برئاسة يوسف[1]. ومنذ هذا التاريخ استخدم كـــل طرف قوة القبائل الموالية له، خاصة النظام التونسي الذي استعان بقبائل ليبية مثل نالوت وكاباو[2].

وبرغم ما ذهب إليه فيرو من أن حاكم تونس تلقى وعودا مـــن حـــاكم الجزائر، بتقديم يد المساعدة له في حروبه ضد حاكم طرابلس لكن حـــاكم تونس كان لا يرتاح إليه لأنه يعرف خباياه وأنه كان متحالفـــا مـــع والي طرابلس[3].

وبرغم هذا يبقى رأي فيرو غير مؤسس لأن القارمانليين صاروا موالـــين لتونس بعد عام 1794. وإن كان من غير المستبعد أن يكون بايات قســـنطينة اتصلوا بولاية طرابلس لشراء ما يحتاجه بايلك قسنطينة من ضرورات، خاصة أثناء حكم الحاج أحمد باي، الذي طلب من كاهية الكاف أن يقـــدم لـــه مساعدة قائلا: "ونخبرك ابننا فإن واحد تركي حبيبي بأني بعثتـــه بالســـابق وقدم من ناحية طرابلس وها هو بالقيروان... فابعث له واحد يأتي به مـــن الطريق"[4].

وقد تدخل الباب العالي لفض النزاع بين الولايات الثلاث، وتوصـــل إلى

1 ـــ ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج. 3، تونس 1973، ص. 21 ـــ 26. نلتذكير فـــإن علي برغل كان في أول أمره ضابطا في الطائفة العثمانية ـــ الجزائرية.
2 ـــ فيرو شارل، المرجع السابق، ج. 3، ص. 712 ـــ 713، 719.
3 ـــ فيرو، المرجع نفسه، ص ـ ص. 333 ـــ 340.
4 ـــ رسالة أحمد باي إلى صالح كاهية الكاف من دون تاريخ، ينظر ملحق رقم 13

إقرار صلح خاصة بين ولايتي الجزائر وتونس عام 1821[1].

وكان هدف الباب العالي تقوية الصف الإسلامي العثماني بالولايات الثلاث في الوقت الذي كان يواجه فيه تحرشات من كل جهة. على الرغم من أن حدة النزاع قلت بين الإيالتين إلا أن العلاقات استمرت مشوبة بالحذر.

ثالثا: موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر

تجمعت مبررات كثيرة دفعت رجال الحكم في تونس للميل إلى فرنسا. من تلك المبررات العلاقات التجارية، إذ إن الباي التونسي تورط في ديون لصالح التجار الفرنسيين خاصة في عام 1829. بجانب هذا فالباي التونسي على ما يبدو استخلص العبرة من واقعة نافاران (Navarin) عام 1827 وفهم أن ميزان القوى قد تغير.

ولا نميل إلى رأي وهو أن ميل حكام تونس إلى فرنسا كان مبنيا على تخوف من إقدام السلطان العثماني على ضم تونس إلى وجاق الجزائر لأن هذا غير وارد منذ عام (1587) حين قررت اسطانبول تفريق الإيالات عن بعضها. زيادة على هذا فقد بينت معركة نافاران أنه لم تبق اسطامبول والجزائر قوة قادرة على فرض إرادتها على إيالة تونس، الأمر الذي لم يكن يبعث على

1 ـــ تتوفر وثائق كثيرة حول طبيعة هذا النزاع ومحاولات الباب العالي لفضه، ينظر:
• A. N. T. dossier 384, cart. 223.

الخوف من خطر جزائري إلى درجة مؤثرة.

لكن تخوف الأسرة الحسينية كان من الجانب الفرنسي الأمر الذي جعل هذه الأسرة في شبه تبعية سياسية لفرنسا، نتيجة هذه التغيرات ونتيجة لدور قناصلها الذين لعبوا أدوارا هامة في ربط تونس بفرنسا.

كل هذا مهد لفرنسا كي تحصل على مساعدة من قبل النظام الحسيني لاحتلال الجزائر[1]، وربط التميمي عبد الجليل قبول باي تونس لهذا الأمر: وامتناعه عن عدم تقديمه المساعدة لداي الجزائر بما كانت تعرفه تونس من أزمة اقتصادية خانقة[2].

وبالفعل اتخذت فرنسا من تونس قاعدة لتحركاتها ولدراسة الوضع في الجزائر قبل احتلالها. إذ أوفدت مخبرين إلى تونس في أفريل عام 1830 من "المستشرقين" ممن كانوا على دراية بالثقافة العربية ـــ الإسلامية وهم: دوبينوسك وجيراردان وشارل زكار هذا الأخير من الشوام ومن مواليد دمشق. حيث قام هؤلاء بدور كبير لصالح الاحتلال، إذ عرفوا رجال الحكم

1 ـــ من أشهر القناصل الذين لعبوا دورا هاما في تونس كان دفواز والكسندر دي (Alexandre D) وماثيو دي ليسبس(Mathieu de Lesseps) ينظر:
• Alphonse Rousseau, Les Annales tunisiennes, 2è édi. Bouslama, Tunis 1980, p-p. 397 - 400.
إذ كانت مراسلات كثيرة من أولئك القناصل حول مصالح فرنسا في المنطقة. وهذه المراسلات محفوظة في:
• A. N. T. Dossier 82. carton 206, années 1816 à 1830.
• A. N. T. Dossier 83, cart. 206, années 1830 à 1836..
2 – يراجع: Temimi, Le Beylik. P. 81

في تونس الحملة الفرنسية وأهدافها. وتوصلوا إلى معرفة العوامل الممكنة لنجاحها، ووجهوا رسائل إلى الأهالي الجزائريين يخبرونهم بهدف الحملة هذه، بل طلبوا منهم الانضمام إلى الصف الفرنسي[1] وكتبوا تقريرا مفصلا إلى السلطة الفرنسية تضمّن ثلاثة محاور دارت حول كيفية الاحتلال. بجانب التحذير الذي وجهه دي بولينياك لحاكم تونس في أفريل 1830. هدده من خلاله باستعمال القوة ضده في حالة تقديم المساعدة لداي الجزائر[2].

وفور تمكن فرنسا من احتلال الجزائر العاصمة استقبل دي بورمون وفدا مبعوثا من طرف الباي التونسي حسين[3]. وذكر ابن أبي الضياف إن حاكم تونس أوفد يوم 21 نوفمبر 1830 كلا من مصطفى صاحب الطابع والكاتب أبي الربيع سليمان إلى الجزائر العاصمة. فاستغل القائد العام كلوزال هذا الموقف وعرض على الوفد مشروعا ومحتواه أن تتولى تونس إدارة إقليمي قسنطينة ووهران تحت نظر فرنسا مقابل مبلغ مالي تمهيدا لتتولى أمر الجزائر كلها. فقبلت الحكومة التونسية هذا المشروع لأهداف حاول ابن أبي الضياف تبريرها بدواقع غير مقنعة كلها، منها حقن دماء المسلمين، والحفاظ

1 – Féraud (Ch.), Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger 1878, p-p. 161 - 162.

2 – نقلا عن Temimi (A.), Le Beylik de Constantine, P. 81

3 - Serres (J.), op. cit. p. 71.

على بلاد تونس من ثورات القبائل، والمزيد من الحصول على الثروة[1].

وبالفعل أرسل حاكم تونس الآغا خير الدين على رأس قوة تتكون من 300 فارسا من المخازنية والزواوة[2]، فوصلت إلى وهران يوم 19 جانفي 1831، وكان هدفها الأول التمركز في المنطقة وجمع الضرائب من السكان[3].

وقد قيّم المرزوقي سياسة البايات التونسيين بالقول: "بالرغم من تظاهر بايات تونس بالتبعية لتركيا إلاّ أن خضوعهم للدول الأوروبية كان يندهش إليه البال فهذا الباي حسين (1824_1835) يتذلل للقنصل الفرنسي ويقول: "**إني أتمنى أن يكون النصر للأمة الفرنسية... ولو جاءني من الدولة العثمانية مائة فرمان تدعوني إلى معاكسة فرنسا حليفتي، فإنني لا أطيع لها أمرا ولا أسمح لأحد بتلبية ندائها لحمل السلاح ضدّها... وليس أحد أشدّ شوقا مني إلى معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر**"[4].

منح هذا الباي قطعة أرض لفرنسا لبناء كنيسة في ربوة قرطاج وبدأت

1 ــ ابن أبي الضياف، أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج. 3، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1963، ص. 176: للمزيد من المعلومات يراجع: التميمي: عبد الجليل، "مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1830"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، تونس 1976، ص. 5 ــ 19.

2 ــ توجد تسمية زواوة في كل من تونس والجزائر ففي تونس تطلق على جيوش مرتزقة أحدثها البايات المراديون منذ القرن 17 لكي يبعدوا خطر الإنكشارية عنهم وأغلبهم وافدون من الجزائر وجانب منهم من "الغرابة" المستوطنين شمال البلاد التونسية. وأما في الجزائر فهي القبيلة المستقرة في جرجرة ببلاد "القبايل" وهي التي كون منها الفرنسيون جيش زواوة.

3 ــ ابن أبي الضياف، المرجع نفسه، ج. 2، ط. 2، ص. 225 ــ 226.

4 ــ محمد، المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ص. 17 (نقلا عن تاريخ نشأة العلاقات بين فرنسا وتونس ، الرزنامة التونسية لعام 1905).

الأشغال بها عام 1848. فكانت النواة لنشر التعاليم المسيحية في الأوساط الأوروبية الموجودة في تونس[1]. ونفس الشيء الذي سار عليه خلفاؤه أمثال مصطفى باي واحمد باي.

لم يكتف باي تونس بهذه المواقف بل كاتب سكان الشرق الجزائري وطلب منهم الانضمام إلى صفه، والتوقف عن المقاومة في صفوف الحاج أحمد باي، قائلا لهم: "**إن الجزائر لما حل بها ما حل، وكان أمر الله أمرا مقدرا، أصبحتم فوضى وعرضة لكل حد أمضى، لا تأمنون نزاعا، ولا تستطيعون دفاعا. وبقاؤكم على هذه الحالة يقضي إلى تشتيت الكلمة واستئصال أمة مسلمة، وان الجيش الفرنساوي لا قبل لكم به، ولا طاقة. فالواجب أن تنضموا إلينا وتتركوا القتال، لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة، في هذه الحال المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا**"[2].

وكان رد الحاج أحمد باي له بأنه قادر على استرجاع الجزائر من غير استعانة.

ومن غير المستبعد أن يكون تصرف باي تونس هكذا بإيعاز من بعض رجال السلطة الفرنسية، لأنه على دراية بقوة فرنسا وضعف المقاومة المسلحة

1 ـــ محمد، المرزوقي، المرجع نفسه، ص. 18.
2 ـــ ابن أبي الضياف، إتحاف لأهل الزمان، ج. 3، ص. 175 ـــ 176. وكان ردّ الديوان برئاسة الحاج أحمد باي لخصه هذا الأخير بالقول: "**إننا فرحون بحكم الباي أحمد... ألستم مثلنا تابعين لخليفة اسطامبول... ولو أننا دعينا إلى اختيار سيد غير السلطان الشرعي فإننا سنفضل احتلال الفرنسيين... واغتاظ حاكم تونس من الرفض الذي لاقاه في قسنطينة فكتب إلى اسطامبول يحرض علي ويتهمني بالطغيان**". ينظر: مذكرات أحمد باي، ص. 22 ـــ 23.

الجزائرية، رغم بوادر النفوذ والقوة التي تظاهر بها الحاج أحمد باي حين لقب نفسه بالباشا، ليصمد أمام التطورات المستجدة، وبخاصة أمام قوة فرنسا، وطمع باي تونس الذي ظهر واضحا بعد سقوط النظام العثماني في الجزائر؛ وعليه لا يستغرب من موقف الحاج أحمد باي حين يوقع في مراسلاته الرسمية بعبارة: **عبده الحاج أحمد باشا بن محمد الشريف**[1]. ولم يكتف الحاج أحمد باي بهذا بل ربط نظامه بالسلطنة العثمانية واتخذ علما[2] وسكّ النقود باسمه، وقد ساعده وجود بعض المعادن الفضية في الصحراء، وخبرة قليل من الأوروبيين على القيام بذلك[3].

كانت فرنسا كثيرة الاهتمام بتونس، حريصة على توجيه سياستها الخارجية، والتزود منها بما تحتاجه من خيول. وساعدها على تحقيق ذلك، وجودها في الجزائر عن قرب من تونس، إذ عرض كلوزال على مصطفى باي، أن يسمح لضابط فرنسي كي يكون في خدمة الباي ضمن حاشيته. ولكي يقوم بشراء الخيول من بلاد تونس ليتزود بها جيش الاحتلال في الجزائر حيث خاطبه قائلا: "**إنا طلبنا من حضرتكم السعيدة أن تقبلوا تحت جناحكم خديمنا العزيز فيسيان هو كمندان... فهو متجه إليكم ومسيو**

1 ـــ ينظر:
• A.N. T. Doss. 384. document No 50.
2 ـــ علما ذا اللون الأحمر يتوسطه سيف منشطر ذو حدين، لمعرفة شيء عن هذا العلم يراجع: التميمي، عبد الجليل، "العلم القسنطيني"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 2، تونس 1974، ص. 89 ـــ 92.
3 - A. M. G. H226.

دوفال قنصل فرنصة ... عليه شراء الخيل اللازمين لعساكرنا"[1] ونفس الشيء طلبه الجنرال بيجو في مارس 1841 إذ قال: "**إلى حضرة السيد أحمد باي بلد تونس... تراني ترسل لك قبطان... يشتري خيل فنطلب منك أن تأذن له في ذلك، وإن شاء الله لا ترده خايبا لأن موجود من قبلت منه هذا ومع ذلك ليست محبتك فيهم كمثلنا**"[2]

لم تكتف فرنسا بهذا "الميل" التونسي الرسمي أو بتدخلها المباشر في شؤونها الداخلية، بل وجهت وحدة من أسطولها إلى مياه تونس الإقليمية للضغط على حاكم تونس، لفرض شروط تجارية لصالح رعاياها منها إلغاء الاحتكارات البايليكية والإقلاع عن التدخل في معاملاتهم التجارية وتحقيق المزيد من السلم لهم. فما كان من باي تونس إلا التزام الخضوع، وترجم الباي رد فعله بإرسال من يمثله وهو محمد بن عياد إلى ملك فرنسا، يستلطفه ويطالب بحقوقه[3]. وهي السياسة نفسها التي اتبعها البايات فيما بعد.

كانت سياسة البايات هذه، محكومة إلى عدة اعتبارات يمكن تلخيصها في:

• التدخل الفرنسي المحسوس في شؤون تونس الداخلية، وبخاصة منها

1 ـــ رسالة كلوزال إلى مصطفى باي في تاريخ 1835 ينظر ملحق رقم **14**

• A. N. T. Dossier 384, Cart223.

2 – ينظر ملحق رقم **15**

3 ـــ ابن أبي الضياف أحمد، ج. 3، ص. 169.

• وأفضى هذا التدخل عام 1857 إلى فرض عهد الأمان على حاكم تونس، بتوقيع أحد عشر شرطا. لمعرفة محتوى هذه البنود وللمزيد من المعلومات يراجع: بيرم محمد الخامس، القطر التونسي في صفوة الاعتبار، المرجع السابق، ص. 127 ـــ 134.

السياسية والاقتصادية[1]. بجانب التهديد الفرنسي الرسمي المباشر.

• المعاهدات التي فرضت على باي تونس وكان معظمها لصالح فرنسا

• سوء العلاقات التي كانت بين ولايتي الجزائر وتونس.

• أحداث الشغب التي كانت تقلق نظام الحكم على التخوم بين تونس والجزائر.

• تخوف النظام التونسي من الاحتلال الفرنسي للبلاد.

• طمع بعض البايات في الحصول على مواطن نفوذ في أرض الجزائر تحت حماية فرنسا. ورغبة منهم في إدخال إصلاحات أوروبية إلى بلادهم.

• تشجيع بعض الأطراف الجزائرية باي تونس لحكم الجزائر، وهذا من خلال اتصال إبراهيم باي وبعض شيوخ بايليك الشرق به.

وكان لعامل السياسة العثمانية وقع كبير على الأسرة الحسينية، من ذلك أن تدخل السلطان في طرابلس الغرب، والقضاء على الأسرة القارمانلية (1835م) دفع حكام تونس إلى الاحتماء بفرنسا. لأن ساسة الدولة العثمانية صرحوا مباشرة بعد الدخول إلى طرابلس، بأن كل ولايات المغرب بما فيها تونس تابعة للسلطنة العثمانية. هذه التبعية معترف بها، لكن ما كان يرفضه باي تونس هو التدخل المباشر في شؤون الإيالة ودفع ضريبة سنوية.

ومن جهة السلطة الفرنسية وهي في الجزائر، فقد زوج الحاكم العام

1 - EL -Makhtar Bey, Du rôle de la dynastie husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie Moderne, thèse pour le doctorat en droit, Faculté de droit et des sciences économiques, t. 2, Paris4, 1968, p. 516.

الفرنسي في الجزائر يوم 1835/12/1 فكرة فحواها: إن معلومات من تونس تشير إلى قدوم أسطول تركي مكون من 6000 محارب لتغيير نظام الحكم في تونس، بمؤازرة باي قسنطينة الذي سيقوم من جهته بهجوم بري على تونس، لينصب حاكما عليها. وأن هذه الخطة حيكت خيوطها من طرف سفارة تركيا في باريس، بمساعدة حمدان بن عثمان خوجة[1].

استغلت فرنسا هذا الأمر وضغطت على الباب العالي طالبة منه إبعاد وحدات أسطوله عن المياه الإقليمية التونسية، مشعرة إياه باستعمال القوة ضد السفن التركية، التي تحاول الاقتراب من تونس.

وفي الوقت نفسه لم يتردد حاكم تونس في طلب النجدة الفرنسية للوقوف بجانبه في حالة قيام الحاج أحمد باي بهجوم على القيروان[2].

بالفعل تقفت وحدات الأسطول الفرنسي أثر الأسطول العثماني لترصد كل تحركاته. وحذرت فرنسا بواسطة سفيرها باسطامبول الباب العالي قائلة: إن أي تدخل في تونس من طرف أية قوة عثمانية سيبرر تصرفات فرنسا ويدفعها لاحتلال كل شمال إفريقيا[3]. أمام هذا الضغط تظاهر رجال السلطنة

1 ـــ أرجمند، كوران، المرجع السابق، ص. 59 ـــ 62.

• - Esquer (G.), Corresp. du gl. Clauzel, (1835 - 1837), t. 1, Larose, Paris 1948, p. 368.

2. - Serres (J.), op. cit. p - p. 133 - 141, 166.

3 ـــ Serres، المرجع نفسه، ص. 143. للمزيد من المعلومات عن سياسة فرنسا تجاه المحاولات التركية هذه يراجع: التميمي، عبد الجليل، "تقرير عن الأحداث السياسية بتونس خلال العشرين سنة التالية: 1838 ـــ 1858"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس 1974، ص. 103 ـــ 117.

بعدم رغبة التدخل في تونس.

في منتصف جوان من السنة نفسها أقترب أسطول عثماني بقيادة طاهر باشا من المياه الإقليمية التونسية، لدراسة الموقف؛ فأمرت فرنسا وحدات أسطولها الراسية في وهران بالتوجه بمعية وحدات بحرية موجودة في طولون، إلى المياه الإقليمية التونسية بحجة حماية المصالح الأوروبية[1].

استغلت فرنسا هذا الموقف العثماني، وجعلت منه مبررا لتدخلها في تونس، والتمهيد لاحتلالها. فوظفت هذا التدخل "التركي" وضخمته لكسب تأييد الدول الأوروبية، مدعية أنه في حالة تمكن الأسطول العثماني من إلحاق تونس بنظام حكمه فإن ذلك سيشكل خطرا لا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر فحسب، بل على ميزان القوى في المنطقة وبهذا دخلت القضية التونسية مجالا دوليا واسعا (وهو موضوع يمكن بحثه في مناسبة أخرى)[2].

كان تحرك فرنسا بهذه القوة محكوما إلى عوامل كثيرة، منها: تخوفها من ازدياد النفوذ البريطاني في المنطقة، ورغبتها في محاصرة "المقاومة" في الشرق

1 - Serres (J.), op. cit. p - p. 144, 150 - 151.

• لمعرفة المزيد عن أوضاع تونس والسياسة بها يستحسن مراجعة:

• Khelifa Chater, Description et mutations précoloniales: la Régence de Tunisie de 1815 - 1857. op. cit.

الملاحظ أن نظام الحكم في تونس كان يعيش أكثر من ضغط منها ضغط والي طرابلس الذي كان ينوي احتلال جزيرة جربة أكثر من مرة.

2 ـــ لقيت فرنسا معارضة دولية كبيرة أثناء محاولتها التدخل في تونس منها بريطانيا التي سلوكها على مناطق أخرى. وكذلك النمسا. يراجع:

• Serres, (J.), p. 192, 195, 200, 203 - 204, 221 - 229.

الجزائري. وتلبية لمطالب التجار الفرنسيين الذين استطلعوا إمكانات المنطقة، إثر رحلات انطلقت من الجنوب التونسي إلى الجنوب الجزائري[1].

وبفضل تدخلها في تونس تمكنت إلى حد كبير من حماية جناحها بالشرق الجزائري، إذ تلقت ضمانات ومساعدات من باي تونس الذي سمح لسفنها المحملة بالجنود والمؤونة، بالتنقل في حرية من دون خضوعها للحجر الصحي (La quarantaine) خلاف الأمر الذي طبقته على السفن العثمانية وبخاصة الحربية منها، حيث فرض باي تونس على حوالي 150 جنديا تركيا **الحجر الصحي**، أرسلوا خصيصا لمناصرة الحاج أحمد باي[2] ومنعهم من النزول للذهاب إلى صف الحاج أحمد باي واستولى على ما جاءوا به من عتاد حربي وكان أهم ما فيه 12 مدفعا[3].

من جانب آخر روج باي تونس معلومات وصف من خلالها باي

1 - (?), Commerce de l'Afrique avec la Mecque et le Soudan, Paris 1849.
اهتمت فرنسا بالصحراء بأن وجهت حملات كثيرة ورحلات استطلاعية. وأحي الإنجليز الاهتمام بالصحراء فأسسوا " الجمعية الإفريقية" (African association) عام 1788 قصد جمع معلومات عن الصحراء لاكتشافها. بعدها بدأت الرحلات الاستكشافية كتلك التي قام بها الإسكتلندي بارك ((Park)الذي وصل إلى النيجر عام 1796
ويدونون ملاحظاتهم، منهم الفرنسي كايي (Caille. R.) الذي وصل إلى تومبوكتو يوم 20 مارس 1828، وترك كتابا بعنوان:
Journal d'un voyage à Tombouctou et dans l'intérieur de l'Afrique
ثم قام دافيد صون (Davidson) عام 1835 ديفيريي (Duveyrier) الفرنسي عام 1857 تحت رعاية نابليون الثالث برحلة إلى الصحراء تمكن من التعرف جيدا على المنطقة الممتدة بين الجزائر إلى الأغواط حتى إلى الأوراس ثم إلى غدامس التي وصلها عام 1860. وقد ترك كتابا قيما بعنوان Les Touareg du Nord

2 - Serres, op. cit. p-p. 44 - 45.

3 ـ مذكرات أحمد باي، ص. 61.

قسنطينة بالداعي للنزعة الانفصالية عن السلطنة العثمانية، وأنه لقب نفسه الباشا وضرب النقود باسمه. فكان لهذه المعلومات وقع على رجال السلطنة العثمانية، الذين أوفدوا كامل باي إلى قسنطينة للتأكد من صحة الأمر، ولحث السكان على مواصلة الجهاد والتزام الطاعة للسلطان[1]. ومن جانب آخر منع شاكر صاحب الطابع وزير باي تونس بإيعاز من قنصل فرنسا طاهر باشا العثماني الوافد عام 1836 من اسطامبول من النزول على أرض تونس للالتحاق ببايلك الشرق الجزائري[2].

من المواقف التي اتخذها باي تونس وكان لها تأثير كبير محاولته منع الجزائريين من التزود بالأسلحة والبارود من أرض تونس. وقد لعب قنصل فرنسا دورا هاما في دفع حاكم تونس إلى أن يشدد الرقابة على حركة التنقل، حتى لا يتمكن التونسيون من تهريب الأسلحة والبارود إلى الجزائر عن طريق طبرقة. إذ أرسل حاكم تونس بعضا من ضباطه للقبض على المهربين للأسلحة والاستيلاء على ما تبقى. وحول هذا الموضوع كتب باي تونس إلى قنصل فرنسا قائلا: "**إن حبيبنا حاكم الجزائر اشتكى بأن الحاج أحمد باي غار على بعض عربان (الجزائر) وذكر أن ذلك بسبب استناده إلينا ويتقوى بالبارود من عمالتنا، وإن ذلك إعانة منا. والجواب إن هذا**

1 – مذكرات أحمد باي، ص. 32، وكذلك أرجميد كوران، ص ـ ص. 60 — 61.
2 ـ لابن الضياف مآخذ كثيرة على مواقف حسين باي هذه، ينظر: إتحاف. ج. 2، المصدر السابق، ص. 215 — 218.

الضن تغيرنا بسببه، فإن الحاج أحمد باي ما نزل في عمالتنا ولا استند إلينا ونحن لا نعينه هو ولا غيره وحاشا جناب الدولة أن تغتفر منا ذلك. ومن المعلوم أن البارود... في عمالتنا لا يأتي من برها ولا يخرج منها. ومعاذ الله أن نرضى مضرة الفرنسيس ولأجل هذا نجدد الأمن بالمبالغة في العسة"[1].

وفيما يتعلق بقضية الأسلحة، وبخاصة منها البارود فالمشهود للجزائريين، أنهم كانوا يهاجرون ويرتحلون من أجل أمور تكاد تكون القاسم المشترك بين كل الجزائريين، وهي أداء فريضة الحج واقتناء أهم الكتب وشراء البارود. إذ تبين من المصادر أن كميات هائلة من البارود والأسلحة كانت بيد الجزائريين وقد عملت فرنسا على مصادرتها[2].

كانت كميات البارود والأسلحة المهربة عن طريق تونس، من القضايا التي شغلت بال الفرنسيين خلال هذه الفترة، فما كان منها إلا أن فرضت منذ الأيام الأولى من الاحتلال رقابة واسعة على منطقة الشرق الجزائري وعزلتها عن تونس وطرابلس، من ذلك أن السلطة الفرنسية أرسلت سفينة حربية إلى تونس يوم 1834/5/10 للضغط على حاكمها كي يشدد الرقابة

---

1 ـــ رسالة الباي أحمد إلى القنصل الفرنسي في تاريخ ذي القعدة 1255 هـــ. الموافــق 1839م. الملحق **رقم 16**

• A. N. T. dossier 384 bis. cart. 223.

2 – في رسالة مؤرخة في يوم 27 أفريل 1864 لأحمد خوجة قائد فرجيوة قائمة بأسماء الذين يمتلكون أسلحة وكميات البارود قدمها للسلطة الفرنسية. ينظر:

A.O. M. 2H27

لمزيد من التفاصيل يراجع كتابنا: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في الشرق الجزائري، البعث، قسنطينة 1984، صفحة 84 وما بعدها.

على تنقل المواطنين. ثم أرسلت بعض قواتها إلى نواح من التراب التونسي لمعاينة المواقع ورصد تحركات الأفراد العاملين في القنصلية البريطانية، وتتبع عيون الدولة العثمانية[1].

لا يعني هذا أن تحرك نظام الحكم التونسي كان كله بضغط من السلطة الفرنسية، إنما كان تحركه أيضا وفقا لأهداف أخرى تتعلق بمزيد من تحقيق المكاسب، بدءا بقبول حاكم تونس تولي أمر بايلك كل من قسنطينة ووهران[2].

لا يعني هذا أيضا أن نظام الحكم التونسي كان على قطيعة تامة سواء مع الحاج أحمد باي أم مع الباب العالي، فهو حافظ على "شعرة معاوية" إذ قدم الباي حسين هدايا للسلطان العثماني مسترضيا إياه، وإن كان القصد على ما يبدو من تقديم هذه الهدايا معرفة نوايا السلطان تجاه الأسرة الحسينية.

كان باي تونس على صلة بقطبي المقاومة الجزائرية هما الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر. يذكر الحاج أحمد باي بأن باي تونس بعد منعه للمساعدة التي أتته من الباب العالي بعث له برسالة يعتذر إليه فيها؛ مبررا ذلك بنوعية العلاقات التي كانت تربطه بفرنسا التي كان على أساسها غير

---

1 - Serres, op. cit. p. 133-134.

2 ـــ فشل هذا المشروع بفعل عوامل كثيرة، منها أنه لم يحظ بموافقة حكومة باريس على الرغم من تشجيع القائد العام بيرقزين. للمزيد من المعلومات. يراجع:

A.N.T. dossier 3 carton 1 وكذلك: التميمي، عبد الجليل، "مغامرة الحماية التونسية"، المرجع السابق، ص. 5 ـــ 19.

راغب في جلب الدمار لبلاده، قال أحمد باي قسنطينة: "وقد جاء في رسالته هذه إنني لم أفعل ذلك عن محض إرادتي، وما قصدت غير الخير، فاسمح لي يا أحمد، وإني أطلعت السلطان محمود على ما أرغمت عليه، وقلت له بأن الدنيا بأسرها تخاف اليوم قوة فرنسا"[1].

وطلب حاكم تونس في هذه الرسالة من باي قسنطينة أن يعلم السلطان من جهته بحسن، نيته على أساس أن هذا التصرف إنما هو لدرء الخطر الفرنسي. يتبين من هذه المواقف التي التزم بها باي تونس تصرفه بحنكة دبلوماسية، قصد التخلص من الأخطار التي كانت تحدق بدولته.

يتأكد من المادة الخبرية التي بين أيدينا أن باي قسنطينة طلب من حاكم تونس أكثر من مرة تقديم مساعدة له بأن ينوب عنه لتقديم هدية للسلطان العثماني، عن طريق البحر ردا على "الوسام" الذي قلده إياه السلطان إذ قال: **"نعم أخانا الذي يكون في شريف علمك أن مولانا السلطان الأعظم، والخاقان الأفخم مولانا السلطان بن السلطان، الجدير مولانا عبد المجيد، اللهم انصره وانصر عساكره اللهم حافظه وناصره ومالك الدنيا والآخرة وأنه قد أنعم علينا وأرسل لنا شيعة مع خديمنا حسان تكون مباركة علينا وعليكم إن شاء الله آمين، وأنت محبنا وأخانا وسرنا ومشورتنا ولا لنا اعتماد إلا على الله ثم أنت، ونحن أردنا أن نرسل إليه نصيب من الخيل**

1 ــ مذكرات أحمد باي، ص. 61 ــ 62

على قدرنا كما يخفاك وأنت تستر أمورنا ظاهرة وباطنة وأنت النائب علينا في ركوب الخيل بالبحر، وفي إرسالهم وأنت صاحب الخير"[1].

لكن حاكم تونس لم يرسل هذه الهدية معتذرا بقلة المسافرين إلى اسطامبول، مقترحا على الحاج أحمد باي إرسال خيول إلى السلطان العثماني، عن طريق البر فكان رد الحاج أحمد باي له على أن هذا الأمر غير ممكن لهذا كرر طلبه لباي تونس، كي يسهل عليه هذا الطريق قائلا: **"فتجعل لنا طريق في البر على يديك وهذا الذي ظهر لنا والنظر إليك في ذلك وأنت أعرف بهذه الأمور وأما على غير يديك لا نقدر"**[2].

ويذكر الحاج أحمد باي في مذكراته، أن حاكم تونس استقبل مرسوله أحسن استقبال، وأبدى ما يليق بمقامه. وأرجع باي قسنطينة سبب هذه الحفاوة إلى تخوف حاكم تونس منه، لا إلى محبة فيه، لأنه كان خلال هذه الفترة ينوي الانفصال عن الباب العالي. وبناء على هذا، فهم باي قسنطينة سبب الطلب الذي قدمه إليه باي تونس ومفاده أن يأتي إلى تونس واعدا إياه بالاستقبال الحسن[3].

في الواقع إن تأويل باي قسنطينة هذا تجاه باي تونس، لا يقترب من الحقيقة، لأن شيئا كهذا قد لا ينطلي على باي تونس، بحكم أن الحاج أحمد

1 ــ ملحق رقم 10

2 ــ ملحق رقم 11

3 ــ مذكرات أحمد باي، ص. 82 ــ 83.

باي كان في وضع لا يسمح له بالتحرك خارج مقاطعة قسنطينة، وليس له من القوة ما يشكل بها الخطر على باي تونس كما كان السلطان العثماني في وضع حرج. مثلما يكون من المستبعد أن يفكر باي تونس في الانفصال عن السلطنة، لأن أهل البلاد غير مستعدين لهذا الأمر.

وكان باي تونس يستقبل الجزائريين الفارين إلى بلاده، من ذلك أنه استقبل كثير من الجزائريين الذين لجأوا إلى تونس، بعد سقوط قسنطينة، وضم إلى جيشه من كانوا في الخدمة الحربية في صف الحاج أحمد باي. وقام بهذا الاستقبال كذلك الأهالي التونسيون باسم اللحمة الإسلامية، إذ كان هناك تعاطف "شعبي" كبير مع أهل الجزائر لما داهمهم من مصاب.

ويمكن تعداد مصائب كبيرة لحقت بسكان الشرق الجزائري منها الحروب الداخلية بين الصفوف المحلية، والهجمات الفرنسية الدخيلة عليهم. والكوارث الطبيعية من مجاعة وأوبئة؛ إذ جاء في كتاب صالح العنتري: أن المجاعة ضربت بقوة أوساط السكان على مختلف المستويات، إلى درجة أن تغنى المداحون قولا:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لا زيادة
أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة
آ من أنت سيبت بنات الحجبة والوسادة[1]

1 – لمزيد من التفصيل عما لحق سكان الشرق الجزائري بعد سقوط قسنطينة يراجع: صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974

وهو الموقف نفسه من التآزر الذي أبداه سكان الشرق بالمغرب الأقصى تجاه الجزائريين. وهو موضوع نأمل أن نوفق في بحثه مستقبلا.

بجانب هذه السياسة التونسية تجاه الحاج أحمد باي، وسكان الشرق الجزائري، وقادة الاحتلال الفرنسي كان باي تونس على صلة بشخصيات فاعلة أخرى، وفي مقدمتها الجنرال يوسف المملوك[1] الذي كان له دور هام في التوسع الفرنسي بالجزائر؛ إذ يفهم من رسالة هذا الأخير إلى مصطفى خزندار وزير الحرب التونسي أن باشا تونس أنعم عليه بوسام الافتخار من الدرجة العليا، حيث قال يوسف المملوك في هذه الرسالة: "وإن سعادة العالية سيدنا باشة المملكة التونسية بعث لحضرة الوزير المكلف بأمور الجزائر والعمارات الخارجية بنيشان الافتخار الدرجة العليا، إنعاما منه علينا ولما كان نيشان الشرف العزيز الذي أنعم به علينا سعادة سيدنا السلطان الأعظم ملك فرانسة صيرني اسعد الناس فإن الذي جاءني من دولتكم السعيدة ملأ قلبي فرحا وسرورا ويحق له في ذلك وأن الله سبحانه وعباده هم الذين رفعوني إلى هذه المرتبة العالية التي أنا فيها وسبب ذلك حسن ظني بالله وبالناس. ولا يمكنني أن أتصف بهذه الأخلاق الحميدة إلا منكم ولما قدر الله علي بفراق من أحسن تربيتي منذ إحدى وثلاثين

1 – انضم يوسف المملوك إلى الصف الفرنسي من تونس بداية الاحتلال الفرنسي، وكان من الذين احتلوا مدينة عنابة والدرعان وقالمة والأغواط. لمزيد من المعلومات يراجع:
Maurice Constantin, La vie du général Yusuf, Gallimard, Paris 1930.

سنة"[1]. ومن غير المستبعد أن يكون يوسف المملوك قد لعب دورا هاما في العلاقات بين تونس ورجال الاحتلال الفرنسيين.

رابعا: علاقة المقاومة الجزائرية بنظام الحكم في تونس

يعود تاريخ علاقات المقاومة الجزائرية بتونس إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ إن كثيرا من الجزائريين سواء ممن كانوا مع فرنسا أم ضدها قد اتصلوا بالباي التونسي، وكان منهم إبراهيم باي الذي قال في رسالة له إلى حاكم تونس: **"إن الواقعة التي وقعت بيننا وبين الفرانصيص، بل بيني وبين أهل البوادي حين أراد الطلوع إلى القصبة، والاستيلاء على خزائن البارود كما هو في علمك اصطلحنا فيما وقع وسامحنا فيما جدد من الجانبين... ولم تبق بيننا وبينه تابعة... والله تعالى ينصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين"**[2].

إذن كانت علاقة المقاومة الجزائرية بنظام الحكم في تونس مبكرة، ويمكن أن يؤرخ لها ـ إضافة إلى ما ذكرناه من اتصال إبراهيم باي بباي تونس ـ بما قام به الأمير عبد القادر من اتصال دبلوماسي برجال الحكم في تونس، حين بعث وفدا برئاسة كل من محمد الصغير بن الحاج، خليفته على بسكرة، ومحمد كانون. كان هذا الوفد مزودا بهدية معتبرة آنذاك؛ تتكون من سيف

1 – ينظر ملحق رقم 17

2 ـ ملحق رقم 18

مرصع بالجواهر وخيول مسرجة بالذهب، وآنية شاي من ذهب. ولقي الوفد الجزائري من الترحاب وكرم الضيافة، ما يليق بالمقام مراعاة لشخص الأمير خاصة. وردّ باي تونس على هدية الأمير بهدية معتبرة دلالة على التجاوب والاستعداد للتعاون[1]. علينا أن نتساءل عن هدف كل من الأمير وباي تونس من هذا التقارب، على الرغم من أن باي تونس كان يعرف أن الأمير عبد القادر عدوُ فرنسا؟ ولا ندري ما إذا كان الأمير على علم بميل باي تونس إلى فرنسا.

وقد يكون كلٌ من الأمير وباي تونس يعملان تحت وازع واحد وهو المصير المشترك المتمثل في درء الخطر العثماني التركي عن بلاد المغرب العربي.

ومهما يكن من أمر فمن المحتمل أن يكون هدف الأمير عبد القادر من هذا العمل، هو إعطاء بعد دولي لحكومته بل لدولة جزائرية فتية، خاصة وأنه قام باتصالات دبلوماسية مماثلة مع دول كثيرة في هذا التاريخ. وربما كانت له غاية أخرى، ألا وهي محاصرة الحاج أحمد باي قسنطينة وتضييق الخناق عليه؛ وهو ما كان يوافق طموح باي تونس الطامع في أن يكون له نفوذ في مناطق بالشرق الجزائري. ويكون الهدف أيضا تأمين مجال سيادتهما في الجنوب الجزائري ـ التونسي؛ خاصة في منطقة توزر ونفطة امتدادا إلى الكاف.

1 ـ محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج. 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص. 139.

ومن المحتمل أن يكون هدف الأمير من جهة أخرى الحصول على مكاسب تجارية وحربية من ولاية تونس؛ إذ تؤكد بعض المصادر أن الأمير قد تزود بكميات هامة من البارود من بلاد تونس[1].

ولربما كان أيضا أمل الأمير من هذا العمل: توحيد الصف المغاربي العربي الإسلامي لمواجهة التحديات الأوروبية والعثمانية. ولعلّ هذا ما يفسر اتصال الأمير بكل من نظامي المغرب وتونس، من دون الاتصال بالسلطة العثمانية الذي لم يحدث إلاّ في سنوات متأخرة أي منذ عام 1840.

وهذا الاتصال لم يكن بين باي تونس من جهة وبين كل من الأمير وخليفته على الزيبان أحمد بالحاج الصغير من جهة أخرى إنما كان أيضا بين الحسن بن عزوز[2] ورجال السلطة الفرنسية حيث كانت مراسلات متعددة من الحسن، حول قضايا مصيرية كالرغبة في توحيد الصف بين الأمير وباي تونس، وعدم الاطمئنان للسياسة الفرنسية. وقد تفضل يحي بوعزيز بنشر

1 ـــ محمد باشا بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص. 205. وقد أكّد هذا المرزوقي في: الصراع مع الحماية، المرجع السابق، ص. 60. وللمزيد من المعلومات يراجع: المدني، أحمد توفيق، "الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر"، الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر 1983، ص. 153 ـــ 168.

2 – عاش الحسن بن عزوز حياة سياسية مضطربة، تقرب من البركاني خليفة الأمير عبد القادر فعينه شيخا على واحة الزعاطشة عام 1837 لكن طموحه أوصله إلى نوال الحظوة من الأمير عبد القادر فعينه خليفة على الزيبان عام 1838. انهزم أمام قوة ابن قانة يوم 24 مارس عام 1840. وكان فرحات بن سعيد يحارب ابن قانة، حين نصبته السلطة الفرنسية شيخا، فعزله الأمير وعين مكانه أحمد بن الحاج المعروف بمحمد الصغير بن عبد الرحمان عام 1841. يراجع ما كتبناه في: "وثيقة نادرة عن موقف الحسن بن عزوز من السياسة الفرنسية في الجزائر"، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 99–100، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان تونس 2000، ص. 693–706.

بعض هذه المراسلات التي نذكر منها:

إلى حمودة باشا حيث قال فيه: "**إن ظهر لك أن نكون وصلة بينك وبينه (الأمير عبد القادر) في المعرفة لتزول الأمور المختلفة وتجتمع الكلمة الشريفة** (واستشهد الحسن بآيات وأحاديث في هذا الباب) **فنحن بذلك بعلاء**". "**نعم وأنت كن فطنا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الأمور من جانب الكفرة ولا تظن ودهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غير، وما شغلهم عنكم إلا نحن ولو لا نحن لرجعوا إليكم**"[1]. وقد عرف الحسن بالأمير عبد القادر أكثر حين وصفه لباي تونس على أنه صاحب قوة في الظاهر وصاحب ولاية في الظاهر.

لكن موقف باي تونس لم يستمر على الود والقرب من الأمير عبد القادر، بل تغير منه لاحقا إذ منع علي وكيله شراء الأسلحة باسم الأمير وتقديم أية مساعدة له[2].

والملاحظ أن الجزائريين عامة: حكاما وأعيانا، وحتى علماء، كانوا دائمي الاتصال برجال الحكم التونسي، إذ بجانب ما ذكرناهم، كان محمد الحسناوي شيخ الحنانشة قد اتصل برجال الحكم في تونس وبعث برسالة تحدث فيها عن لجوئه إلى تونس، وعن الحروب التي جرت بين الفرنسيين، وكل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي[3].

1 – يراجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ش. و. ن. ت. الجزائر، الدار العربية للكتاب تونس 1983، ص. 219–230.

2 – لمزيد من المعلومات يراجع: يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص. 80–81.

3 – لمزيد من المعلومات يراجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. ص. 249–249.

خامسا: علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس

كانت علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس منذ الأيام الأولى للتوسع العسكري، في منطقة الشرق الجزائري، إذ إن دامريمون قبل أن يقوم بالهجوم على قسنطينة كلّف النقيب فولتز القائم في تونس بمراقبة كل التحركات في الشرق الجزائري وخاصة قوة الحاج أحمد باي واستعداداته[1].

بعد أن تمكنت السلطة الفرنسية من الاستيلاء على عاصمة الشرق الجزائري عام 1837، تدخلت في شؤون تونس؛ من ذلك أن حاكم الجزائر تحرك بقوة وطلب من حاكم تونس أن يمنع المساعدة الحربية التي كان يحصل عليها أحمد باي قسنطينة من أوروبا، عن طريق تونس. وكان ردّ باي تونس بأنه غير قادر على ذلك[2].

شرعت قوات الاحتلال بتوسع في مناطق كثيرة كان من بينها أراض تونسية. ففي أواخر سنة 1837 ضمت القوات الفرنسية فخذا من قبيلة نهد المتوطنة غرب القطر التونسي، إلى فخذ آخر لنفس القبيلة المتوطن بالقالة الأمر الذي دفع حاكم تونس إلى تقديم الطلب للقنصل الفرنسي كي يشعر حكومته بالتراجع عن هذا العمل. لأن المعمول به في هذا العهد أن مجال السيادة يتحدد بالولاء البشري، وعليه فخروج هذا الفخذ من السيادة

1 — A. O. M. F80 / 1673.

2 — Serre (J.), op. cit. p. 128 - 129.

التونسية يعني المس بسيادة النظام التونسي. وكان جواب القنصل أن بلاده ستعوض ما أخذته بأرض أخرى عندما يتم تعيين الحدود بين البلدين. وكان رد الباي التونسي: "**والجواب أن هؤلاء نهدا لم تتلهم رعاية الجزائر سابقا، ولا وقع من دولة الترك في الجزائر كلام مع تونس في شأنهم، مع ما كان بينهم من الحروب. وإنما هم في رعاية تونس وملوكها يتداولون التصرف فيهم والخلاص منهم، خلفا عن سلف**"[1].

قد يكون هذا التحرش الفرنسي على أرض تونس بدافع من بعض الأوساط المالية والصناعية الأوروبية، الطامعة في الاستيلاء على ثروة البلاد، وخاصة منجم الرصاص بأم الطبول. مثلما يفهم من موقف باي تونس أنه كان حريصا على حدود بلاده، متخوفا من التوسع الفرنسي. لهذا ذكر القنصل الفرنسي في الرسالة المذكورة بقوله: "**وحدود عمالتنا هي التي نتصرف فيها كما وجدنا من قبلنا لم نتجاوزها، وما تجديد التحديد، أو إبدال بعض العمالة بجزء من غيرها، فمعلوم إننا نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية... أما التنقيص منه، أو إبدال بعضها فلا يحسن**

1 — ابن أبي الضياف. إتحاف أهل الزمان. تحقيق أحمد عبد السلام، الباب السادس، تونس 1971، ص. 48 — 49.

▪ جرت مراسلات وتبادل التهم بين حاكم تونس والسلطة الفرنسية حول ضمها لفرع من قبيلة نهد. لمعرفة تفاصيل هذا يمكن مراجعة:

▪ Khelifa Chater, Description et mutations précoloniales, la Régence de Tunisie de 1815 - 1857. op. cit. p. 501 -504.

منا بغير إعلام مولانا السلطان"[1].

ومن المستبعد أن يكون موقف باي تونس عن حسن نية تجاه السلطنة العثمانية، أو طاعة منه للسلطان العثماني، إنما كان تقية واستظهارا بأنه من الحكام التابعين للسلطان؛ لعله يرهب فرنسا حتى لا تقدم على احتلال جزء من أراضيه، لأنه لا توجد ذريعة أخرى غير هذه. ووافق هذا موقف الباب العالي، الذي ناصر الحاكم التونسي في مطالبه تجاه فرنسا[2].

لم يسكت باي تونس عن حقوقه التي نالت منها الأطماع الفرنسية، فبعث وزيره مصطفى خزندار في أفريل عام 1839 إلى ملك فرنسا، قصد تصفية ما تعكر من أجواء بين البلدين. لكن فرنسا لم تتوقف عن مد يدها لأراضي تونسية، من ذلك أنها استغلت الصراع القديم الذي عاشه السكان المتوطنون على تخوم البلدين، وحرشت بعض القبائل الجزائرية جهة تبسة عام 1842 للهجوم على السكان بالتراب التونسي، الأمر الذي دفع باي تونس إلى الاحتجاج بقوة على هذا الإجراء. وفي السنة التالية مارست السلطة الفرنسية ضغوطا على قائد مدينة الكاف. ولم تتوقف عند هذا الحد، بل أعلنت عن نيتها في الاستيلاء على المناطق الممتدة من القالة إلى طبرقة وجبال خمير: وصولا إلى أولاد علي[3]. ووصل الأمر إلى تشكيل لجنة فرنسية ـــ تونسية في

1 - A. N. T. Doss.384 bis, cart223.
2 - El - Mokhtar Bey, op. cit. p. 1004.
3 - El- Mokhtar Bey, p. 1006 - 1008.

سبتمبر عام 1843 لدراسة مشكلة الحدود[1].

وقد استمرت العلاقات التونسية الفرنسية في تقارب بتبادل الهدايا والزيارات، إذ أوفد باي تونس عام 1844 أحمد أميرلاي الخيالة للاتصال بالدوق دورليان، وكذلك صالح شيبوب سنة 1847 للاتصال بالدوق جوانفيل[2]. ثم رشيد أمير اللواء الذي اتصل بالحاكم العام الدوق دومال. وبالمقابل قام الطرف الفرنسي بزيارات إلى تونس مثل التي قام بها أبناء الملك الفرنسي عام 1846[3]. وفي السنة نفسها قام باي تونس بزيارة رسمية إلى باريس. وتتالت البعثات الرسمية التونسية إلى باريس بعد هذا التاريخ.

وعلى الرغم مما توصلت إليه هذه الزيارات من تصفية الأجواء العدائية، إلا أن الحكومة الفرنسية في باريس وسلطتها دخلتا في مناوشات ضد باي تونس، نذكر من ذلك ما وقع عام 1844 حيث واصل روندون هجماته ضد القبائل التونسية، الأمر الذي دفع الباي التونسي إلى توجيه أوامره إلى السكان، بمنعهم من تقديم المساعدة إلى الثائرين الجزائريين حتى لا تجد

1 ـــ El- Mokhtar Bey المرجع نفسه، ص. 1008 ـــ 1010.
2 ـــ للمزيد يراجع: .A.N.T. , Dossier 145, Carton 209
3 ـــ ينظر: .A.N.T. Dossier138, Carton 209
بخصوص الزيارات التي قام بها رجال الدين المسيحيين من الجزائر إلى تونس يمكن الإطلاع عليها في:

• A. N. T. Dossiers. 775, 778, cart. 64

ينظر كذلك: الجنحاني، الحبيب، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي"، الأصالة، العدد 16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1973، ص. 23 ـــ 36.

فرنســــــا مطية لاحتلال تونس، وأرغم باي تونس عام 1847 التمامشة على الخروج من أرض تونس بضغط من فرنسا. ومع ذلك قام قائد قسنطينة عام 1852 بالهجوم على قبائل تونسية، حجته في ذلــك ملاحقــة الفــارين الجزائريين. وقد ارتكبت القوات الفرنسية جرائم بشعة في حق التونســيين، الأمر الذي دفع الباي إلى رفع احتجاجات ضد الفرنسيين، وطلب من قنصل فرنسا رد حقوق رعاياه، إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك.

لم تكتف السلطة الفرنسية بالتحرشات، وطلبت رسميا من الحكومة التونسية بداية من عام 1854 الامتناع عن تقديم أي مساعدة إلى الثائرين الجزائريين ومنهم الشريف إبراهيم بن فارس بن محمد بن عبد الله، الذي لجأ إلى التراب التونسي، فطالبت السلطة الفرنسية بإخراجه من ترابها بمعية من معه وعلى رأسهم الحاج محمد الصغير بن الحاج خليفة الأمير سابقا. استجاب باي تونس لهذا الطلب، وأرسل للسلطة الفرنسية عن طريق قنصلها قائلا: "**.. أما بعد فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله، ثم تحزب بمن معه وأغار على العطاريه من رعيتنا بين نفطة وتوزر.. فإننا لا نأوي القائمين في عمالتنا ولو لم يصدر منهم ضرر**"[1].

ومن جهة الجنوب الجزائري والتونسي كان الاتصال بمبادرة من الجنرال ديفو، حين أرسل عام 1856 إلى علي الساسي قايد الجريد، بمكتوب فيه مودة

1 -A. N. T. Doss 384 bis, Cart223.

دبلوماسية دعاه فيه إلى ربط العلاقة لسعادة سكان الدولتين حيث قال: "**وهو أن ابننا سي علي بن عمر خليفة سوف، يتوجه بعض شهر إلى نفطة ليتم بعونك سلاك ما أوجبت به سيادة البائسة عوضا عما أخذه محمد بوعلاق لأهل الواد من الأثاث... يمكنك ابننا سي علي بن عمر بالدراهم التي أخذوها خدام قايد بسكرة .. وإلى الآن ما وجدنا سوى العافية التامة في كل الأوطان التي دخلناها، وسنبذل كل الجهود أن تكون هذه العافية دايمة بحيث أن لا يقع شيء من الخوف .. أو لناس الزيبان من وطننا .. وإن كانت لك شكوى على أحد من وطننا فالمرغوب منك أن تكاتبنا**"[1]

وبتولي محمد باي الحكم بتونس (1855 ـــ 1859) حاول التقرب من القادة الفرنسيين لدرء الخطر الفرنسي عن بلاده، فاغتنم مناسبة تقليد روندون لرتبة مارشال وأوفد مبعوثه الخاص حسن المقرون لتنقية الأجواء، وتكريس فوائد الجوار. إذ قال روندون في هذا الصدد: "**وفرحنا بتهنيتكم لنا فيما أنعم علينا مولانا السلطان الأعظم سلطان فرانسا بتوليتنا رتبة مارشال، ومهما أسرنا في إظهار محبتكم لنا وجد خلاصة كبراء دولتكم السعيدة، فقبلنا من أرسلت حضرتكم إلينا بالفرح والسرور، كما يناسب شأنهم ويليق مقامهم وخصوصا المعظم الأشجع السيد حسن المقرون أمير لواء دولتكم**"[2].

1 – ينظر ملحق رقم 19

2 ـ رسالة روندون في تاريخ 2 ماي 1856، ينظر الملحق رقم 20

وحسب ابن أبي الضياف لما زار نابليون الثالث الجزائر أوحى قنصل فرنسا ليون روش لباي تونس المشير محمد الصادق، أن يؤدي له زيارة مجاملة، فاصطحب الباي وزيره الأول مصطفى خزندار ووزير الحرب مصطفى بلش آغا، وغيرهما من كبار الدولة. وخرج يوم 15 سبتمبر عام 1860 وتم اللقاء بتبادل عبارات الود والهدايا[1]. وقدم له في تلك المناسبة نص الدستور التونسي (قانون الدولة) وهو أول دستور تصدره دولة إسلامية.

لكن محاولات التقارب هذه بين حاكم تونس والسلطة الفرنسية، لم تمنع المقاومة الجزائرية من مواصلة نشاطها مثلما لم تمنع تقديم المساعدة من المناصرين التونسيين لهم، الأمر الذي ساعد الثائرين الجزائريين على القيام بعمليات حربية، زادت في توتر العلاقات بين السلطتين الفرنسية والتونسية. إذ كان لمقتل الكولونال برست يوم 1857/10/19 على الحدود التونسية الغربية شرق الونزة، قرب محلة الجنرال بريكو حاكم عنابة من طرف **أولاد تليل** الذين هم من رعايا الجزائر، استقروا بتونس قبل هذه الحادثة بسنتين، كان لهذا المقتل رد فعل كبير من طرف الفرنسيين الذين راسلوا حكام تونس، يؤنبونهم ويطلبون منهم إلقاء القبض على "المجرمين" إذ كتب كل من بريكو حاكم عنابة، ولابسي حاكم سكيكدة وديفو حاكم قسنطينة، إلى حاكم تونس وكاهية الكاف يؤكدون على أن قاتلي **"الكولونال برست في التاسع**

1 ـــ ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان. ج. 5، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1964، ص. 41 ـــ 42.

عشر من شهر أكتوبر قرب نزلة دار محلة الجنرال بريكو هم من عرش أولاد تليل ومن عرش شارن"[1].

تؤكد لنا الوثائق التي بين أيدينا أن أحداثا كثيرة مماثلة لهذا الحادث وقعت على الحدود الجزائرية التونسية، الأمر الذي يثبت حقيقة وهي أن هذه الأحداث لم تكن معزولة بل كانت ضمن عمل "المقاومة" الجزائرية التونسية، التي قادتها الأعراش بهذه المنطقة وبقيادة كل من محمد بن تومي المعروف بابن الناصر بن شهرة، الذي تزعم المقاومة بجنوب الشرق الجزائري عام 1851، وكوّن جبهة جهاد قوية مع كل من بوشوشة، والشريف محمد بن عبد الله، وأسرة المقراني. وكان لهذه الأحداث من جهة أخرى مبرر للسلطة الفرنسية للتدخل أكثر في الجهات الغربية من العمالة التونسية

وكانت قلاع هؤلاء المقاومين زاوية نفطة الرحمانية ونفزاوة بالجريد التونسي[2]. أما المقاومة فيلخصها حاكم قسنطينة في تقريره إلى حاكم الجزائر روندون بما جاء فيه: **"وأما قلة الامتثال سوء نية الدولة التونسية قد بانت مرة أخرى في هاته النازلة فالباي.... ولم يذكر لنا ولو كلمة من ذلك قط.... ولازال يظهر لنا من الباي مثل ما صار سابقا أما بقلة الاعتناء أو**

1 ـــ تراجع مجموعة من المراسلات حول هذا الموضوع في:
• A. N. T. Doss.384 bis, cart223.

ينظر الملحقان رقم **21** و **22**

2 ـــ لمعرفة التفاصيل يراجع: يحي بوعزيز، "وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851 ـــ 1875) ": الثقافة، عدد 31، الجزائر 1976، ص 39 وما بعدها.

عدم الاقتدار واليوم نحو ثمانية عشرًا شهر أن الأنفار الذين قتلوا رجلا من الفرانسوية صاحب الاكاندة الكاينة في أم الأرنب، فهم إلى الآن نازلين بالكاف أو بنواحيها وهما جزايريين... فيا هل تراي هذا نوع من التحريض في قتل الكولونير وما فعلت الدولة التونسية في شأن الناصر بن شورة الذي هو لازال في قبلة عمالتنا، مشتغل بالفساد والتشويش وغير ذلك فها هو جهادا تحت حماية قايد الجريد (الجريد) وقبله عنده بنفطة وربما هو أن القائد المذكور أتى لأرضنا وغزا على عرباننا الآن نحو شهرين حتى وصل إلى العوينة والبي (كذا) داخل عمالتنا وبعيد على الحدادة بعساة ميل. وكذلك الفعل أيضا في شأن محمد بوعلاق وفي شأن جميع المتسببين في البارود وفي جميع جموع القطف الذين أتو (كذا) في الشهر الفارط لأرض بني صالح وفعلوا ما فعلوا من النهب والقتل، وأيضا في شأن المفسدين وقطاع الطرقات الذين يتوجهوا إلى أسواق نواحي الكاف ويبيعوا ما سرقوا ونهبوا من بلادنا[1].

وعلى ما يبدو أن محمد باي تونس قد تفطن إلى حقيقة النوايا الفرنسية المهددة لجزء من بلاده، فحاول أن يواجه الأمور بإحداث تقارب بينه وبين السلطة العثمانية[2].

---

1 ـــ من ديفو إلى روندون في تاريخ 7 نوفمبر 1857 ملحق رقم 23، ينظر:
• A. N. T. Dossi 248, cart 213.

2 ـــ يراجع: التميمي عبد الجليل، "تقرير عن الأحداث بتونس..."، المرجع السابق، ص. 103 ـــ 117.

الخلاصة

نخلص مما تقدم إلى القول: إن العلاقات بين الشرق الجزائري وتونس متأصلة، وممتدة الجذور، ومتعددة الجوانب، في أكثر من مستوى. فهي علاقات على مستويين رسمي حكومي و"شعبي". وكان ما يحدث في منطقة كلّ طرف يؤثر في وضع الطرف الآخر. لهذا كان للتشكيلات الاجتماعية المتوطنة على تخوم البلدين، أثر كبير في تحديد مصير البلدين نظاما و"شعبا".

وكثيرا ما عرفت المنطقة داخل البلدين أحداثا كثيرة، كانت لصالح القوى الخارجية حيث استغلتها فرنسا وتمكنت من إحداث مواطن نفوذ لصالحها في كلا البلدين.

ويشهد لتونس بدعمها للمقاومة الجزائرية إذ توطدت العلاقات بين الشرق الجزائري والشعب التونسي، بدءا بالأمير عبد القادر ثم بخلفائه منذ المراحل الأولى من التوسع الفرنسي في الجزائر. في وقت كان فيه نظام بايلك تونس "يميل" لفرنسا تحت ضغوط مالية تجارية. وقد يكون هذا التقارب طمعا في ولاية الشرق الجزائري والقضاء على نظيره الحاج أحمد باي قسنطينة. ومن غير المستبعد أن هذا الأخير على علم بنيات باي تونس ومع ذلك تصرف بحكمة، لأن همه لم يكن التوسع في تونس، بل الدفاع عن منطقته المهددة من دون أن يفتح جبهة ضده، حيث كان حريصا على تبادل المراسلات الرسمية مع باي تونس. مثلما كانت المراسلات متبادلة بين باي

تونس وكل من الفرنسيين وخليفة الأمير عبد القادر.

وتحت وطأة هذه الضغوط لم يجد باي تونس مخرجا للتخلص من التدخل الفرنسي في شؤون تونس الداخلية، و لم يجد حلا غير الوقوف مع فرنسا في احتلالها للجزائر. على خلاف الموقف الشعبي التونسي الذي واصل دعمه للجزائريين.

الملاحق

ملحق 1. الحاج أحمد باي قسنطينة إلى باي تونس

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى الله وصحبه وسلم

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع الأمجد الأنجد الأوحد الأرشد إلى حضرة الأرضى السيد حسين باي باشا تونس المحمية أيده الله بمنه وأمده بعونه السلام الأتم الشامل الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه العميم وتحياته ولا قريب بعد حمد الله جلت قدرته وتقدست كمالاته إلى الخيرات الوافية الضافية ونعم الله المتتابعة المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها علينا وعليكم بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية فموجبه إليكم أولا السؤال الكثير عنكم وعن أحوالكم المرضية أجراها الله على منهج السنة ثم ما تطيب به نفسكم الزكية وثانيا رعاكم الله وبارك فيكم قد اتصل بطرفنا جوابكم المجيد وخطابكم الأنيق السديد عرفتنا فيه أحسن الله إليكم بإيفاء ذلك العدد ليد الوكيل وقد ظلتم برا كما هي شيمتكم وصنعكم الجميل ونحن وإياكم حال واحد ووجاق مفرد غير أنه من الواجب اللازم إعلامكم بمن هو من رعيتنا مثل العواودة[1] وغيرهم أزيد من تسعين بيتا وان أنكر هذا خدامكم الذين هم بجوارهم فنوجه من عندنا من يقف عليهم ويبينون مكانهم ويميزونهم فلان مع فلان فإذا تقدمت أصلحك الله بردهم لبلادهم من وطننا ومنعت قوادك أن يأووا من يريد مجاورتهم فتتأكد المحبة وتتخلد الأخوة والمودة وقد منعنا من تعجيل خطابكم بهذا الاحتشام وكثرة الإطناب في الكلام لأن رعيتنا مع الزغالمة[2]

1- العواودة هم من رعايا حكم الجزائر
2- الزغالمة هم عرش من رعايا حكم تونس.

وشارن[1] وأولاد بوغانم[2] مثل وأولاد خيار[3] وبني فرفار[4] وغيرهم لا يمكن السكوت عليهم ونحن أخوة وانبرم بيننا أصدق صلح وأتم محبة ومودة ونعلم أنك لا يرضيك ذلك ولا يحسن لديك ما هنالك كما أننا عند مذهبنا المحبوب وسالكون هذا الأسلوب ثم أن بعد أن وجهنا لحضرتكم الجواب السابق بلغنا جوابكم في شأن وشتاتة وهم فرقة في وطن الحنانشة لهم عليهم عوايد[5] من قديم الزمن محسبون من رعيتهم جاري عليهم مختلطين مع غيرهم كثرت بهم الشكاية وفشا فسادهم وبانت منهم الإذاية حتى تعدى شرهم لبعض من دايرتنا أخذوا سعيهم ووجد بعينه بعد أخذهم فلم يأخذوا إلا رعية وطن الحنانشة وهؤلاء رعيتكم المعلومة كشارن وأولاد بوغانم وورغة[6] (..) في أمن وأمان لم (يمسسهم) أحد بسوء ولا يقع إن شاء الله ما دمنا بالصواب أكرمك الله أن ينير الأمر ويسد هذا الباب برد كل رعية لمحلها وردعها عن الفرار من مقرها فنرجو بذلك الهنا وبلوغ القصد والمنى وتكون العافية في الوطنين وينصلح أمر الوجاقين وهذا هو المراد الأهم والدستور الأعظم بحول الله وقوته وفضله آمين[7].

1– شارن هم عرش من رعايا حكم تونس.
2– أولاد بوغانم هم عرش من رعايا حكم تونس.
3– أولاد خيار هم من رعايا حكم الجزائر
4– بنو فرفار هم من رعايا حكم الجزائر.
5–عوايد هي ديون، عائدات.
6– ورغة هم عرش من رعايا الحكم التونسي.
7– رسالة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باي تونس في تاريخ1826.

A.N.T. Dossier 384.Cart223

والسلام من الفقير لربه سبحانه عبده الحاج أحمد باي وفقه الله عنه في 24 رمضان 1242.

زيادة خير أن ورغة قد تعدو الحد الفاصل بينهم وبين الحنانشة وهذا السبب يقع بينهم الفساد وان شئت فابعث من قبلك من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف فإن الكثير والجم ...من معشر الوطن يعلمون ويتحققون لاكن إن شاءت ورغة أن يحرثوا ببلادهم بأجر المعروف عندهم بالحكر فيحرثون برضاهم ويؤدون الحكر على حسب العادة والطريقة السالفة المعتادة ومراد بهذا سدا للذرايع بأن تنقطع بين الفريقين مادة والمرج فلا تقع شكوى لأحد ولا ترفع لأحد منهم قصة إن شاء الله.

ملحق 2 مصطفى باي لأخيه حسين باي



الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(...) المقام الذي حل ارتقاه في معارج الفخر وإلى منتهى السيادة لنجم مناره تسري (...) المعالي وأفصحت بتواتر مكارمه الأيام والليالي مقام ذي المجد الخليق بعطر الثناء والفواضل التي لم تجمع لغيره في ... المديد بسر الله ورده لاي أخينا سيدي حسين باشا باي لازالت أيامه باسمة الثغور والثغور[1] محمية بصوارمه إلى يوم الدين النشوز[2] أما بعد التحية العطرة إلى يقة[3] وتقبيل راحتكم السنية الفائقة بأنه وافانا الأسنا[4] جوابكم السعيد وصحبته جوابان وأطلعنا على جميعها وفهمنا معناها وما سطرت لنا أسعدكم الله في جوابكم من أنكم توجهوا جواب باي قسنطينة لباشا الجزائر[5] ليطلع عليه أو توجه رجلا عاقلا عارفا من حضرتكم ليبلغ عنكم ما تأمره بتبليغه بإتقان وطلبت منا أخبار السيادة بما يظهر لنا من الرأي في ذلك كله صار في علمنا والذي ظهر لنا رعاك الله بعد أن حضرنا الشيخ سي محمود الأصرم باش كاتب وابننا صاحب الطابع وولدنا يوسف بن فرحات باش حانبة وخاطبناهم في النازلة المذكورة فاتفقت آراؤنا على أن توجيه الجواب بعينه لباشا الجزائر يكون شكاية بمرسله لحضرة السيادة وما أظن أن إرسال الجواب من غير إذن من الباشا وعلمه بمضمونه فإذا كان بإذنه فلا وجه لإرساله إليه وإما إرسال رجل عارف من حضرتكم متق لتبليغ أمركم فهو من أحسن الصنيع غير أننا نخشى ربما أن لا يعطوه مقامه ولا يبلغوا منه ذلك وإذا وقع منهم (...) مقامه فالسيادة لا ترضى منهم بذلك هذا وإذا ظهر لكم أبقا الله مجدكم كتب جواب إليه

1- الثغور جمع ثغر وهو المكان الذي يخاف منه هجوم العدو.
2- النشوز جمع النشز هو المكان المرتفع والعالي.
3- إليقة أي اللائقة
4- الاسنا هو لمعان البرق /قال الله تعالى: ويزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصر. (سورة النور الآية43)
5- هو الداي حسين.

مضمونه آن وحقنا ووحقكم في غاية الاستوا والصفا والحمـد لله والعافيـة حاصلـة للجميع بفضل الله ولا يسعى أحد الوحقين في إذاية الآخر وضررة وإذا قدم أحد مـن أعيان بلدهم فارا إلى أرضنا من غضبهم واحتما بحرم وحقنا فما له يرضون عليه ويرجع إليهم كما كان وإذا كان من غير الأعيان وكان طالبا للمعيشة في بلدنا فـلا تعتنـي بقدومه ولا تسئل عنه فهذا إذا الوحاق المستوية أهلها يتمعشون من بعضهم ومع ذلـك انا نتبه على أهل بلدنا أن لا يقبلوا قادما بينهم وليرجعوه من حيث آتا وكذلك انتـم فإنه بلغنا أن هذا شأنكم مع من يفر من بلدنا وكل من الوحقين حرم لأهل الوحـق الآخر كما لا يخفاكم وقوله أن ورغة[1] قد تجاوزوا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنـا لم نتجاوزه ولا زلنا باقيين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصـارة بأرضـهم وبحدودها فإذا وجدهم قد تجاوزوا حدهم ولو قدر شبر فانا نرجعه ونحكم فيهم فـهذا ما ظهر لنا أيدكم الله عرفنا به السيادة والنظـر الأعلـى لكـم آدام الله سـعادتكم وسرمد[2] مجدكم في عز دايم وهنا وذكر طيب وثنا والسلام من أخيكم مصطفى بـاي[3] وفق الله الجميع بمنه وكرمه في 12 رجب 1243[4].

1– ورغة عرش من رعايا تونس
2– السرمدي: الدائم: مالا أول له ولا آخر.
3– كان مصطفى باي في هذا التاريخ على رأس المحلة بالجريد لأنه بعد وفاة والده تولى رئاسـة المحال لجباية الضرائب ثم عين بايا عام 1837.
4– من مصطفى باي لأخيه حسين باشا في تاريخ يوافق 1827م

A.N.T. Dossier 384.Car.223

يوجد خلف هذه المراسلة ختم منقوش مكتوب عليه (اغفر لي الخطايا 1235 عبده مصطفى بك يا رازق البرايا)

ملحق 3.قبائل وأعراش بالشرق الجزائري

Noms des Tribus	[illegible]	Achour		Hokor
		Blé	Orge	
[illegible]	15	15	15	800
[illegible]	60	60	60	[illegible]
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	40	40	40	533
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	600	600	600	8000
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	40	40	40	555
[illegible]	30	30	30	600
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	120	120	120	1600
[illegible]	30	30	50	[illegible]
[illegible]	60	60	60	[illegible]
[illegible]	50	50	50	[illegible]
[illegible]	100	100	100	1333
[illegible]	400	400	400	[illegible]
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	30	30	30	[illegible]
[illegible]	40	40	40	[illegible]
[illegible]	40	40	40	[illegible]
[illegible]	30	30	30	400
[illegible]	40	40	30	[illegible]
[illegible]	20	20	20	267
[illegible]	10	20	[illegible]	667
[illegible]	60	60	60	800
[illegible]	20	20	20	267
[illegible]	20	20	10	[illegible]
[illegible]	20	20	20	[illegible]
[illegible]	800	800	800	[illegible]
[illegible]	60	60	60	800
[illegible]	150	150	150	2000
[illegible]	500	500	500	[illegible]
[illegible]	80	80	80	1067
[illegible]	80	80	80	1067
[illegible]	10	10	10	133

ملحق 4. الحاج محمد الصغير إلى باي تونس

الحمد

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وسـلم

أسعدكم الله سعادة أبدية وحفكم بألطافـــه الخفيـة وأيدكـم بنصـره بكـرة وعشية بجاه صاحب الطلعة الزكية عليه أفضل الصـلاة وأزكـى التحيـة حضـرة المعظم الأرفع والهمام الأنفـع صـاحب الرايـات المنشـورة والجيـوش المنصـورة والمجاهد في سبيل رب العالمين وحارس ثغور المسلمين الموصـل نيـل فضـل المـالك الحي مولانا المشير سيدنا أحمـد باشـا بـاي أمدك الله بنصـره وتوفيقـه وأدام هدايتك إلى طريق الخير والسلام وسـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه وإبـراره وإنعامه وبعد بان أمرك المطاع قدم إلي سليم قايد نفطـة[1] في شـأننا بـان ندخلـوا إلى إفريقية أو نخرجوا من العمالة نعم سيدي قد امتثلنـا واطعنـا لأمـر سـيادتكم إلا أنه منعنا من دخول إفريقية الخوف في الطريق وشدة الحـر مـع كـثرة العيلـة (العائلة) و لم يمكننا الإقامة هنا امتثالا لأمر سـيادتكم فـهانا انتقلنـا إلى سـوف[2] وبقينا منتظرين لأمرك فان أمرتنـا بـالرجوع فـنرجع لأننـا دخلنـا في حمـايتك واستظللنا بظل الله ثم ظلك وجئنا مستجرين بك وجـاعلين نفوسـنا كـأحد مـن عمالتك وهربنا تحت جناحك وافتخرنا على النـاس بذلـك وسمعـت بنـا سـائر النواحي والرايات[3] وشكرنا فضلك في سائر القبائل وان بلغ سـيادتك أننـا فعلنـا عيب (كذا) فانه زور وافتراء لأننا جعلنا نفوسـنا كـأحد مـن عمـالتك وإنمـا الوشات(كذا) والمبغضين لنا يكثرون القول من جانبنـا ويوشـون لكـم ليغـيروا خواطركم علينا فان لم يظهر لكم ما ذكرنا فنحـن في هـذه السـاعة في سـوف

1- نفطة تبعد عن وادي سوف بـ 116كلم
2- سوف المقصود بها صحراء الجزائر /وادي سوف/
3-الرايات جمع راي أي ملك في لغة ذلك العصر

مادام الحر وكيف يزول الحر اجعل لنا طريقا إلى ناحية طرابلس ونتجاوزوا (كذا) للمشرق ودمتم ودامت لكم الأنعام على ممر الليالي والأيام والسلام الفقير لربه عبيده محمد الصغير بن عبد الرحمان لطف الله بالجميع آمين 3 في رجب 1262[1].

1– الموافق صيف 1845. رسالة محمد الصغير إلى باي تونس.A.N.T.Dossier 384 Cart. 223. وكانت لمحمد الصغير رسائل مع شخصيات تونسية منها رسالة مدح في الشيخ الأحضر قائد أولاد بوغانم مع طلب المساعدة في تاريخ6 شعبان 1263هـ/1846

ملحق 5. الحاج محمد الصغير إلى مصطفى صاحب الطابع

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

حفظكم الله تعالى ورعاكم واخصب بفضله رياض مرعاكم وأسبل ستره عليكم وكفاكم حضرة الأفضل الأمجد المرعى المبجل الزكي الأمثل ذي الشيم الزكية والأخلاق المرضية سيدي مصطفى صاحب الطابع لازالت مفاخرة (تزيد) وأسبابه بالله لا تنقطع ولا تبيد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته نعم سيادتكم العلية ومآثركم الكرام السنية وبعد لا يخفى سيادتكم أننا قبلنا مهاجرين ومستظلين بظل الله تعالى ثم بظل السيادة العلية ومستجرين به وداخلين تحت حماه كما نعلم به من الحرمة وحمية الجار فأجرتنا وأحسب إلينا فشكرنا بفضله عند جميع الناس ومنذو (منذ) دخلنا العمالة جعلنا نفوسنا كأحد منها ولم تفعلوا مكروها ولم يصدر منا ما يضر (..) الوشات والمتحيرة اختلقوا علينا بعض الأقاويل وأوشوها إلى سيدنا المشير أعزه الله وكان صدقهم لأنه أمرنا بالدخول إلى إفريقية والخروج من العمالة فها نحن امتثلنا أمره وانتقلنا إلى سوف لأن طريق إفريقية ما خوفه في هاذه الساعة مع شدة الحر وقد أرسلنا جوابا وعرفناه بأمرنا فإن أذن لنا بالرجوع فنرجع والمقصود من كرم سيادتكم أن تعرفه وتبصره بحالنا وتقف في أمورنا وتقصد بذلك وجه الله العظيم) أن يرجعنا إلى موضعنا الذي كنا به وإن خطر بباله ثم من فعل المكروه فاضمن أنت فينا نعم سيدي إن لم يرض سيدنا نصره الله بمكثنا هنا وأراد لنا دخول إفريقية فيراقبنا نلبثوا هنا إلى أن يبرد الحال وتأمن السبل وحينئذ ندخلوا إفريقية والموضع الذي يأمرنا بسكناه نترلوا فيه وربنا يصلح

الأحوال محمد صلى الله عليه وسلم وجميع (..) ودمتم في عزة الله وكفالته والسلام من الفقير لربه عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن

2 في رجب 1262[1].

استدراك مبارك وخير يتدارك نعم سيدي أن ظهر لك فيما ذكرنا ورضى سيدنا بيقانا فذاك المراد وإن لم يظهر ذلك مقصودنا منك أن تكلم سيدنا بأن يجعل لنا طريقا للمشرق وقد علمت سيدي أننا دخلنا هذه العمالة معتمدين على الله ثم عليك وأنت عين بصيرتنا ونحن أولادك فنريدك أن تقف في أمورنا وتجعل بالك منا والله يبارك لنا فيك ويمد لنا في حياتك واخبرنا بما يكون عليه عملنا والسلام التام.

1- الموافق لصيف 1845 رسالة محمد الصغير لمصطفى صاحب الطابع A.N.T.Dossier 384 .Cart 223

ملحق 6. الحاج محمد الصغير إلى مصطفى صاحب الطابع

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أسعدكم الله سعادة أبدية وحفظكم بألطافه الخفية وسقى أرض قلوبكم من عين فيه الرحمة الأزلية فجاه صاحب الطلعة الزكية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية حضرة الأجل الأجمل الكامل الأفضل المرعي المبجل السيد مصطفى صاحب الطابع أمدك الله بعونه وتوفيقه وأدام هدايتك إلى طريق الخير وسبيله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته حاضركم وباديكم وغاديكم وبعد فإننا نسئل عن كلية أحوالكم المرضية اجراها الله على وفق السنة النبوية فإن كنتم بخير فنحن به والمعروض على أسماعكم الراقية وأذهانكم الفائقة أن عدو الله الفرنصيص كلف خديمه المتولى أمر العرب والزيبان على يديه بمقاتلتنا عدو الله بن قانة فجمع أهل التل والصحراء وقصدونا في العام السابق[1] فوقعت بيننا وبينهم معارك نحو الخمسة عشر معركة فنصرنا(بضم النون) عليهم وانصرفوا بأجمعهم خائبين مطرودين ثم في هذه السنة أقبل إلينا عدو الله ولد الراي[2] بجنود غزيرة فعملنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر ناس البلاد وذاك بعد ما رودنا أهل الوطن للوقوف والجهاد فذعنوا كلهم كأهل الكفر وفشلوا فلحقنا عدو الله إلى الجبل الذي نحن به ولم يكن معنا أحد سوى عسكرنا فوقع بيننا قتال عظيم وثبت الله أقدام المجاهدين فمات من عسكر عدو الله خلق كثير ورجعوا على أسوأ حالة وغنمنا منهم الأسلحة وبقت أموالهم بين أيدينا باردة فحينئذ جعل عدو الله عسكرا في قصبة بسكرة وخلف

1- أي عام 1843.
2- المقصود به الدوق دومال.

عندهم خرقة[1] عظيمة من مدافع ومهارز[2] وما يتبعهم ومدد وسلاح وبارود ودراهم وطعام وخلف معهم أخي عدو الله بن قانة وذهب هو من حيث أقبل فلما عاينا فعله ذاك استفتحنا بالله وغزونا على تلك النوبة[3] وهجمنا عليهم ليلا بالقهر ودخلت المجاهدين في وسطهم رغما فمكننا الله من جميع ما ذكرنا وزدنا بعض العسكر مسكناه وغنمناه والجميع حملناهم إلى دار هجرتنا فلما بلغ عدو الله الخبر أقبل مسرعا فلم يجد شيئا مما تركه فعزم على التوجه نحونا فقابلناه بعساكرنا والجيوش الذين من أهل الجبال معنا فأنزل الله في قلبه الرعب ورفض ما كان يهم به من اللحوق بأثرنا فانصرف إلى التل وترك نوبة مثل الأولى ومعها عدو الله بن قانة فنحن نرجو من الله سبحانه أن يظفرنا بهم كما مكننا رقاب إخوانهم وأموالهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولازلنا واقفين في أعينهم بعدمهم الله وجعل كيدهم في نحورهم والمقصود من كريم سيادتكم أن تتحفونا بصالح دعايكم عسى الله أن ينصر الدين ويخذل الكفار ويجعلهم دار الخسران والبوار وقد كتبنا لكم لما نعلم ونتحقق من سيادتكم تحبون الإسلام وأشياعه وتبغضون الكفر وأتباعه، ودمتم ودام لكم الأنعام على مر الحياة والأيام والسلام من الفقير لربه عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن كان الله حيث كان آمين 16 في جمادى الأولى 1260.[4]

1- خرقة تعني فرقة.
2- مهارز تعني عتاد حربي.
3- النوبة هي حامية عسكرية.
4-رسالة الحاج محمد الصغير إلى صاحب الطابع بتونس في تاريخ:1844 ينظر:
A.N.T.Dossier 384 Carton 223.

ملحق 7: الحاج محمد الصغير إلى خزندار

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

حفظكم الله تعالى ورعاكم وأخصب بفضله رياض دعاكم وأسبل ستره عليكم وكفاكم حضرة المبجل الأجل المحترم الأمثل الموقر الأشمل المتوكل على ربه القهار السيد مصطفى خزندار أبقاك الله محفوظا وبعين العناية الربانية ملحوظا السلام الكريم الطيب العميم كلما أهدى الروض شذاه مع رسل النسيم ورحمات من الله وبركات تتوالى في السكنات والحركات وتتراوى بتردد الأنفاس واللحظات وبعد إنا نسئل عن كلية أحوالكم فان كنتم بخير فنحن به ثم ليكن في شريف علمكم خيرا إن شاء الله وان عدو الله ولد الري[1] الذي أقبل إلى نواحينا في هذا العام ووقعت بيننا وبينه محاربات وقتالات والعاقبة للمتقين وقد ظفرنا الله بخزنته وغنمت المجاهدين وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس والحمد لله رب العالمين ونرجو من الله سبحانه أن ينصر أعلام الإسلام ويهزم الكفر الأيام بجاه محمد عليه الصلاة والسلام وقد كاتبناك وقصدنا معرفتك لما طرقته آذاننا) عليك من الخير الجزيل والفضل الجميل فكن معنا ببال وادع الله لنا بإصلاح الحال وتبليغ القصد والآمال ودمتم ودام لكم الأنعام على مر الليالي والأيام والسلام من الفقير لربه عبده محمد بن عبد الرحمن كان الله له حيث كان آمين في 15 جمادى الأولى سنة 1260[2]

1– المقصود به ابن الملك الذي هجم على بسكرة سنة 1844

2– رسالة محمد الصغير لمصطفى خزندار في تاريخ1844 ينظر:
A.N.T.Dossier 384 Carton 223

ملحق 8. تزكية من مرابط جزائري إلى باي تونس

[illegible]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله كثيرا كثيرا كثيرا

حضرة السلطان المعظم الأمير المحترم ذي العساكر المنصورة والجيوش المشهورة والأجناد المبرورة والألوية المنشورة والأفعال المحمودة المشكورة من عمر الله به البلاد وجعله رحمة وإعانة للعباد من حضر وباد وأعني به السيد الحاج أحمد باشا أعطاه الله ما أراد وأنشاء السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الفلك وحركاته وتحياته ورضوانه وفضله وانعامه والسلام التام الشامل العام على مر الليالي والأيام ولا زايد عن حمد الله تعالى جلت قدرته وتقدمت أسماؤه سوى الخير والعافية ونعم الله الضافية كيف انتم وكيف هي أحوالكم المرضية وأنفسكم الطيبة الزكية أجراها الله على وفق مرادكم نحن على خير والحمد لله إن كنتم كذلك أنتم أما بعد سيدنا أمير المؤمنين أن حامل إليكم الورقة انه رجل صالح نسبه شريف وكان سابقا قبل دخول الفرانسيس الجزائر مسكنه هناك وحين أخذ الرومي البلاد خرج مهاجرا وترك ماله ودياره والمساكن والجنة وأقام مع المسلمين وقد هرب بدينه فحين أولى الله مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين صار يعينه بكل ما يخصه وقد جعل له حرمة عظيمة ولم يحتج إلى شيء والآن أراد القدوم إلى بيت الله الحرام بعياله وأولاده ومهاجرا في سبيل الله من الرومي الذي أخذ البلاد وقال تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض ... كثيرا وسعة الآية وها هو قاصد نحوك إن أردتم الربح وسعادة الدارين والنصر والتأييد أن تكونوا في عونه فالله يكون في عونكم لقوله عليه السلام والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ومن

قضى حاجة أخيه المؤمن قضى الله له سبعين حاجة أدناها إلى فقرة الحديث... على دولتكم السعيدة وما قصدكم إلا أنكم منصورون وأوطانكم عامرة ولذلك قصدك وكانت السلطنة يجعلون له حرمة فلا بد من ملاقاتكم معه لتجلس معه وأن جعلت له حرمة فالله يجعل لك حرمة عند الخالق والمخلوق وأعني به هذا السيد اسمه محمد بن الحاج الطاهر الأمراوي المنصور من بلادنا وهو شريف فإن فعلتم ما ذكر امتثالا لما ذكر فقد فزتم بسعادة الدارين ولا تسلكم بصالح الرعاية في أوقات الإجابة وعند ملاقاة أهل الخير في كل زمان ومكان على ساير الأيام والشهور والسنين والدهور ما دمت حيا به كفاية ودمتم في أمان الله وحفظه وعافيته وستره ورضي الله تعالى عنكم وأرضاكم آمين وعليكم الله عن إذن الشيخ السيد الحاج عمر خليفة الشيخ أبي الحسن السيد علي بن عيسى بجرجرة... بتاريخ ... شعبان1258[1]

1 الموافق لعام 1842. هذه تزكية من مرابط رحماني بجرجرة إلى حاكم تونس
A.N.T.Dossier 384 Carton 223

ملحق 9. داي الجزائر إلى باي تونس



الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

السيادة التي لها المكارم الراضية والجلالة الرفيعة والمكانات العالية والعرايين النافذة الماضية والأعمال الصالحة الباقية سيادة المعظم الأجل الزكي الأفعال الخير الأكمل المرعي المبجل الأمجد الأنجد الوجيه الأسعد أخينا ومحبنا وصديقنا السيد محمود باش بعروسه بلاد تونس أدام الله تعالى له الفضل والجود سلام عليكم مع الرحمة والرضوان ودوام السعادة والغفران وما تعاقب الحلوان... الجديران وطلع الفرقدان[1] وآضاء النيران أما بعد حمدا لله تعالى مولانا الرحمن الرحيم ذي الجود والفضل والامتنان التي لا تحصيها لسان ولا يقوم بواجب حقها إنسان حمدا يجلب إلى الخل من أنواع الإحسان ويسوق إلى الشاكر للخيرات الحسان... فان الموجب... الكتاب وتصديره إلى ذلك المقام والجناب أولا السؤال عنكم وعن المرضية أحوالكم جعلكم بخير وعافية... وثانيا فإننا معكم على الوداد وإبراز قراين الانفراد والاتحاد ثم أنه قد بلغ طرق مسامعنا أن البعض من مراكيب الجرابة...قد حمل أهله معهم بداخلها البارود والرصاص والأسلحة الحربية وقدموا بها إلى نواحي عمالتنا وسواحلها البحرية وباعوا جميعها إلى فرق قبايلها الجبلية العصات الباغية التي لا تنالهم إلا الأحكام الشرعية ولا يخشون الله مولانا رب البرية ثم اشتروا ممن كان هناك ما لادوه من الشمع والزيت وغير ذلك وسافروا إلى بلادهم بما نالوه من مقصودهم ومراميهم وقد لا يخفاك يا نعم المحب الكريم والصديق الملاطف جميع من الفساد الذي لا يرتضيه أحد من العباد فضلا عن ذوي الرأي

1- الفرقدان أي النجمان.

وأرباب العقول مثلكم والرشاد لما فيه الإعانة والتقوية لأهل الضلال والزيغ والعناد....فالمراد منكم والمؤكد به منا عليكم فأكثر والوداد ساعة وزود هذا الكتاب إلى حضرتكم أن تنبهوا على رؤسائهم بأسرهم واجمعهم بالزجر والنهي من ذلك حتى لا يعودوا لما هنالك سلك الله احسن الطرق المسلك فانهم يا نعم المحب إن عادوا مرة أخرى لفعلهم فإننا نأخذ جميع ما نجدوه من ذلك بداخلهم لكونهم قد اجنوا على أنفسهم هذا وأن عرضت لهم يا نعم المحب حاجة في شراء شيء مما ذكرناه ورقمناه سابقا وسطرناه فليأتوا بمراكبهم المذكورة إلى بلادنا الجزائر المحمية بالله من سوء الدواير أو بلاد عنابة أو بلاد وهران فيشتروا ما أرادوه من مراسي هذه البلدان لأجل خاطركم ومحبة في الرفيع مقامكم فإننا معكم حال واحد وأمر منفرد متحد من غير شك...دمتم في أمان الله محفوظين وهي العناية الربانية ملحوظين هو رضي الله عنكم وادمتم ....وكتب عن إذنه...السيد حسين باشا بالجزائر المحمية بتاريخ أواخر شعبان 1237[1].

إلحاق خبر مبارك متوارد وهو يا نعم المحب الكريم والصديق الملاطف أن المراد منكم والمؤكد عليكم أيضا أن كل من قدم من أولادنا اليولداش[2] إلى حضرتكم وفر هاربا من عندنا إلى بلادكم فردوه إلى بلادنا ووجهوه إلى حضرتنا مثل ما هي العادة القديمة والطريقة السابقة المستقيمة أرشدنا الله وإياكم إلى طريق الهدى والصواب ويسر لنا ولكم جميع الأمور والأسباب بجاه النبي المصطفى الكريم وجملة الأوائل والأصحاب...والختام

1- الموافق لعام 1821م.
2- فرقة من الجنود إذ كانت الكتيبة تتكون من الجنود وثلاثة ضباط هم: بولكباش أوضاباشي باش يولداش.

ملحق 40 داي الجزائر إلى باي تونس

[illegible]

(..) نعم أخانا والذي يكون في شريف علمك أن مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم مولانا السلطان بن السلطان السلطان الجديد مولانا عبد المجيد[1] اللهم انصره وانصر عساكره اللهم حافظه وناصره ومالك الدنيا والآخرة وأنه قد أنعم علينا وأرسل لنا شيعة[2] مع خديمنا حسان تكون مباركة علينا وعليكم إن شاء الله آمين وأنت محبنا وأخانا وسرنا ومشورتنا ولا لنا اعتماد إلا على الله ثم أنت ونحن أردنا أن نرسلوا له نصيب من الخيل على قدرنا كما يخافك وأنت تستر أمورنا ظاهرة وباطنة وأنت النائب علينا في ركوب الخيل بالبحر وفي إرسالهم وأنت صاحب الخير وخيرك علينا كثير فالله يجازيك عنا خيرا ونحن كما تعلم لم تكن لنا طاقة بالبحر عاملين على الله ثم عليك وأنت تدبر بما يظهر إليك ونحن محسوبين على الله ثم عليك ونحن أخوانا في الله ما يسرك يسرنا وما يضرك يضرنا والله تعالى عالم بأحوالنا وأنت جعلك الله نورا إلى الإصلاح فالله يخلد عليك الملك ويهنيك ويعدد لنا في أيامك السعيدة وينصرك الله على أعدائك والله يسبل عليك سترة العميم ولك الأجر من الملك العلام ولا بد محبنا تدبر علينا بما يظهر لك من الراي والله يجازيك عنا خيرا وكذا محبنا أن عمار الشابب والجوامع[3] وأنهم عاملين أنفسهم هاربين إلى إفريقية وجاعلين أنفسهم يسلكوا في قشهم وأثاثهم ويختلون بالناس بالفساد وأنت تعرف أمور العرب لا يخفاك حالهم وهم ينسبون عليك ويقول بأمر الباشا وأنت حاشاك هذا ولا يصدر منك وأنهم أولاد الحرام من قديم

1- تولى عبد المجيد سلطة الخلافة من عام 1839 إلى عام 1861.
2- شيعة يعني نيشان ووسام.
3- عرش متواجد على حدود البلدين.

الزمان لا يخفاك حالهم وأنا كما تعلم لا فعلت معهم هذا إلا من فسادهم مع النصارى ولو كان ما جاعلين أنفسهم هاربين إليك وأنت أخي لم تتركهم يفعلون هذا الأمور وأنت يا محبنا تعرف أمور العرب لا يخفاك حالهم أقل من ذلك يخيل عليهم ويفسد سواءها إلا قول أولاد الحرام وأنت حاشاك لم ترضى بذلك وأما أمورهم وما تفوهوا بألسنتهم إلى الناس وأنتم يأتون بالغلة من عندكم وإن سحتو أحمد باي من الدير(الديار)[1] والعرب كما تعلم مفسدين أش مكان يشوش عليهم لأن هذا الكلام قد نقروا الناس حيث سمعوه وأنت لم يخرج عليك واحنا لم نظنوه فيك لأنك أخينا ومحبنا وما عليك علينا وما علينا عليك وأننا لم نمد يدي فيهم لأنهم في حرمك ومتخلطين هما والزغالمة وكثروا من أمور الشياطين والأبائس وتكثير الفساد والأمور الخبيسة والسلام من الفقير لربه مولانا حاج أحمد باشا وفقه الله آمين[2].

1- يبدو أن هذه القبائل حرضت من حاكم تونس قصد مضايقة الحاج أحمد باي والحد من نفوذه.

2- رسالة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى أحمد باي حاكم تونس يكون تاريخها بعد سقوط مدينة قسنطينة. A.N.T..Dossier384.Cart 223.

ملحق 11. الحاج أحمد باي قسنطينة إلى باي تونس

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إلى حضرة المعظم الأرفع الهمام الأنفع الأسعد الأمجد الأرشد الأقدر الوجيه الأعدل محبنا ومنا وأخانا السيد أحمد باشا باي حماه الله ورعاه وعلى فعل الخير قلده وأعانه آمين السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه العميم ولا زايد إلا بالخير والعافية نعم محبنا قد بلغنا جوابك الرفيع وخطابك الواضح الجسيم وما شرحت لنا فيه صار بالبال ونحن يا أخانا لا عندنا أحد غيرك وأنت مشورتنا وسرنا ولا نفعل أمر إلا بإذنك وخبرتنا على إرسال الخيل لايتأتا[1] بعوثه بالبحر لقلة الشعوب المسافرة إلى أسلامبول فقولك حق ولكن حق ولكن يا أخي رايك سداد وصلاح وإن كان البحر عاجز على ذلك فالبر في يديك بأن ظهر أن الخير والصلاح في ذلك فتجعل لنا طريق في البر على يديك وهذا الذي ظهر لنا والنظر إليك في ذلك وأنت اعرف بهذا الأمور وأما على غير يديك لا تقدر ونخبرك محبنا فإن الجوامع[2] أتوك هاربين ولكن أنت جعلت عليهم قايدا وينزلون في أفريقية فإذا هم أتوا بقائدهم ونزلوا في تبسة ويفعلون بالأمور الفاسدة التي لا ترضيك ويأتونا بالخيانة ويسوقوا من إبلنا وهويرنا[3] وهوير تابعنا ويوقفوا عندهم وهذا لا يرضاك وكذا محبنا تأمر قايدهم يرحلوا وينزلوا بهم في نواحي ضراط[4] وإن بقوا هنا ان فعلت

1- لا يتأتا أي لا يمكن.
2- عرش متواجد على حدود البلدين.
3- الهوير تعني مجموعة من البغال والحمير.
4- ضراط نسبة إلى الوادي الذي ينبع من بني مراد شرق الأوراس.

معهم العيب لا تلوم علينا والسلام من محبك الفقـــير إلى ربـه الحـاج احمـد باشا باي رفعه الله آمـين.

إلحاق خير وعافية ونخبرك بأنهم قدموا إلى النمامشـــة وتحرشـوا معـهم بالفساد فطردوهم النمامشة وقالت لهم هذا الـــرأي الفاسـد لا تحضـروا فيه ولا تترلون معنا أبدا ويأتيك جواب النمامشة انضره بعينـــه ويظـهر لـك أمورهم النافعة أما جواب القائد الذي وجعلـــت لنـا بـأني لا ترسـله إليـه فاكتب إليه مع خدامك ويرحلوهم من طرابنا ويـــترلوهم في نواحـي صـراط ويبعدوا من طرابنا أصلا وان بقـــوا هنـاك باطرابنـا ويفعلـون في أمورهـم الناقصة فلا تلم علينا ساعة أخرى والســـلام[1]

وتعلم محبنا بأن خيلي وإبلي واقفـــة عندهـم وأنـا ننضـر فيـها بعيـني فلو كان ما جعلت لهم شبهت القايد في وســـطهم لم يقـدروا علـى مسـك إبلي وهويـوي.

1– رسالة أحمد باي قسنطينة لأحمد باي تونس من دون تاريخ ينظر:
223 doss.384 cart A.N.T.

ملحق 12. حاكم تبسة إلى إبراهيم باي

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حفظ الله تعالى ذات المعظم الأرفع الاحترام الهمام الأمنع سيدنا ومولانا السيد إبراهيم باي[1] عزه الله سلام الله وبركاته وتحياته يليه أعلمك هو خير فترانا في اشد الحصار والأبواب مغلقة وأحاط بنا الهول من كل جانب فان الزغالمة من رعية تونس نازلة علينا وجميع عروبتنا الذين بقربنا كلهم رجعوا إلى تونس وبقينا في وسطهم العطش... ليلا ونهارا فان خرج من البلد نهب المال وقتل الرقاب فان عزمتم إلينا وجعلت أمرا يليق ببلدكم فتنجدونا وان لم تجعلوا فخلفكم على الله في البلد وأهلها ونحن لا طاقة لنا على دفع نصرة هؤلاء أهل البغي والفساد وان هذا الفعل جرا علينا حين رجع الشيخ الزين إلى تونس[2] وأما أبناء علي بن يحي وغيرهم فلم نخفوا بامرهم ولا وقعت منهم مضرة علينا سوا أولاد يحي بن طالب الذي جرت مضرتهم علينا وان حاملها يخبركم بما وقع وبما جرا في هؤلاء الباغية حاصله العزم ثم العزم إلى البلد ومن فيها وإلا فأجركم على الله وعليكم السلام من خدامكم أهل تبسة قادة مصطفى التركي واحمد الحفاف وجميع أهل البلد تركا وعربا وآغة الديوان السعيد والشيخ القاضي لطف الله بحال الجميع... النبي الكريم[3]. وبه ملحق خير ان النسوة تبكي ليلا ونهارا... من شدة الخسوف ويقلن يا ويلنا على عسكر الجزائر المنصور بالله تعالى ان يقدم إلينا ويفرج كربتنا وذنوب من في البلد على من فين هذا الفعل الله يفرج علينا ما نحن فيه والسلام.

1– إبراهيم باي من الشخصيات التي كان لها أكثر من دور في تاريخ الاحتلال بالشرق الجزائري إذ كان من المحاربين ضد الحاج أحمد باي.
2– الشيخ من الحنانشة كان ضد أحمد باي قسنطينة.
3– رسالة من حكام تبسة إلى إبراهيم باي من دون تاريخ
A.N.T. Doss384.Cart 223

ملحق 13. الحاج أحمد باي إلى كاهية الكاف

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

حفظكم الله تعالى مقام ذاة المكرم الأجل المرعي المبجل ابنا سي صالح بن محمد كاهية الكاف السلام عليك ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه ولا زايد إلا بالخير والعافية مليبة ابنا فنحن أردنا أن نبعثوا خاطر[1] إلى تونس يقضي لنا قامده[2] فهبنا من جانب الافرانصيص ليلا يقع لكم معه حياد ولكن ابنا مرادي أن نكتب إلى أخانا السيد احمد باشا على (قامرة؟) فاستحييت من ذلك ولكن هذا الأمر ما فيه حاجة وهذا أخانا ونحن إسلام ومتكلين عليه وأنا واقف في باب الجهاد والذي يقضيه لنا كأنه نابه بالجهاد ولكن أنا استحييت أن نخبره بالجواب ولكن أنت تخبره من عندك وتردوا لنا الجواب واني وجعلت إلى أخانا السيد أحمد باشا عود[3] لأجل التبرك لأنه يلومنا في قضية الخيل والمكمل لأننا واقعين في باب الجهاد وهذا تبرك لا غير ومتوافقين على الدين الشريف وراضين الله تعالى عنكم وأرضاكم والسلام من المعظم الأرفع السيد الحاج أحمد باشا أعزه الله أمين. إلحاق خير وعافية وثم ابنا فنحن إسلام وهذا الوقت ما بقيتم إلا أنتم ركزة إلى الإسلام وحق عليكم والتكي عليكم في أمور مقضيات إلى الجهاد ولكن ابنا فإن الأمر الظاهر نحرزكم[4] إليه والأمر المختفي فحقي عليكم وفيه كفاية والسلام ونخبرك ابنا فإن واحد تركي حبيبي بأني بعثته بالسابق وقدم من ناحية الطرابلص وهاهو بالقيروان وبعث إلي فابعث له واحد يأتي به من الطريق وأنا حد لا يخفاك لا عندي أحد يجا ابنا تبعث له أنت خاطر من عندك يأتينا به والسلام[5].

1- خاطر يعني مجموعة من الأفراد.

2- حسبما جاء في مذكرات أحمد باي (ص -ص84-85) أن باي تونس سمح لرجال أحمد باي أن يتزودوا بما يحتاجونه من الحبوب.

3- عود يعني فرس.

4- نحرزكم أي ننبهكم

5- رسالة الحاج أحمد باي إلى كاهية الكاف من دون تاريخ. A.N.T. Doss384.Cart 223

ملحق 14. كلوزال إلى حاكم تونس

الحمد لله

إلى حضرة سعادة المكرم المعظم الأجل الفاضل السعيد والمستور المنصور السيد مصطفى باي وسلطان تونس السلام على (حسن) سعادتكم من عند محبكم وصديقكم المارشال كلوزال أمير دولة الفرنصيص وحاكم جميع بلاد الجزائر ويا سيدنا المعروض على حضرتكم اليوم هو خير إنشاء الله (كذا) لابد أن حضرة سعادتكم تعلمو (كذا) قبل كل شئ فرحنا غاية الفرح عن توليتكم في السلطنة على بلاد تونس وراننا مسرورين كثيرا في دخول المكاتبة بيننا وبينكم وأيضا (المكاتبة التي وقعت بينكم وبين....وان)سلطان الفرنصيص أعطانا حكم عساكره وحكم بلاد (الجزائر) وفي هذا الزمان كنا عزاز بعضنا ببعض ولابد أن () تتذكرو لهذه الوقت فاليوم بنوع محبتكم لنا راننا طلبنا من حضرتكم السعيدة أن تقبلوا تحت جناحكم خديمنا العزيز فيسيان هو كماندان فهو متوجه إليكم وهو مسيو دوفال قنصل فرنصة[1] حضرة سعادتكم ()عليه شراء الخيل اللازمين لعساكرنا لأنه هذا هو موجب التي تونس ونحنا متعشمين أن حضرة سعادتكم تأذنو وتسهلو عليه الاختتام على خير وعافية المعلوم عند الجميع أن بلادكم السعيدة هي بلاد الخيل المعتبرين ولكن مالها (فيهم فراننا عارفين إلى حضرة سعادتكم باب) أن هذا الدخول ما يكون له آخرة لأنه يصير بين بلادكم وبلاد (فرنصة) ابتدا المتجر وتصرف البدايع[2] امتاعت (كذا) تونس والجزائر وحضرتكم تعلموا بضرافة عقلكم الجيد أن المتجر هو مسلحة

1- كان الكسندر دوفال يتولى شؤون القنصلية منذ 1832 بقرار وزاري مؤرخ في 29 سبتمبر 1832. وقد خلفه شوبيال 1836

2- البدايع تعني البضائع.

البلاد والسلطان وأيضا أن المتجر يغني البلاد ويملك بينهم الصلح والمحبة فبعد ذلك أراده الله أن السلاطين يخترو بالمتجر ويعافوا عليه فلا بد أن حضرة سعادتكم تتبتو وتامنتو بمحبتنا لكم حينما تتذكروا الفعل اللي صار منا إليكم وذلك بمضي خمسة سنين فاليوم ما كان التغير ومحبتنا وقلبنا لكم كما كان سابقا وربنا يعلم أن ما أعز علينا إلا محبتكم لنا ومحبتنا لنا قربنا)) مطلوبنا ينصر ويوفق علي حضرة سعادتكم العالية والسلام من عند المذكور إلى واضع طابعه الرفيع أعلاه. كاتب الأحرف عن إذن سعادة المارشال الترجمان حنا فرعون[1].

1- من كلوزال إلى مصطفى باي حاكم تونس يكون تاريخها 1835.

A.N.T. Doss. 384 bis. Cart 223

ملحق 15. بيجو إلى حاكم تونس

الحمد لله وحده والأمر لله كله

إلى حضرة المعظم الأرفع الأنفع السيد احمد بـاي بلد تونس وعمالتها السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فالمعروض على مسامعكم خير إن شاء الله هو أن سيدنا سلطان فرانسة[1] لما أرسلني إلى الجزائر وولاني أمور مملكتها أوصاني على أن يكون بيننا وبينكم مودة غاية ما يكون وهذه الوصية قد وفقت نيتي ومرادي لأجل محبتي سابقة في كبراء جنسكم الذين لا زالوا بأرضنا هذه ونوري لهم هذه المحبة بفعل الخير والمحبة بيننا وأنا قد أمرت الجينرال الوالي على أمر قصنطينة[2] ونواحيها لأنه يجاورك في الأرض أن يعمل بمقتضى مرادي المذكور فإن أنت أردت تبقى (..) فأرسل له ولا معرض لذلك تراني نرسل لك قبطان من (قوق) معه ليشتري خيل فنطلب منك أن تأذن له في ذلك وإن شاء الله لا ترده خايبا لأن موجود من قبل منه غدا ومع ذلك ليست محبتك فيهم كمثلنا[3] فانا نعلم وان الخيل بقرب بلدكم قليلا ولكن حين تعطي له الإذن مع الفرمان[4] الذي مختوم بطابعكم السعيد الرفيع يبلغ إلى البعد ويقضي حاجتي ولا يكون عدم الكفاية لقومك وأهل عمالتك تكون لهم فايدة ومنفعة وقد تحققت وتبين عندي القبول منك في ما طلبناه فالله يجازيك عنا خير ويعز ولايتك ويدومها ويبقي أيامك بالسرور والهنا والعافية آمين.

كتبه بدار الإمارة عن إذن عبد ربه المرجو الوالي على مملكة الجزائر الجلينار بيجو الواضع طابعه الرفيع أعلاه في تاريخ شهر صفر الخير 1257[5].

1- هو لويس فيليب. مع العلم أن بيجو تولى الحكم على رأس الإدارة الفرنسية في الجزائر في فيفري 1841.
2- اسمه كاربط.
3- قد يكون يلمح إلى أحمد باي.
4- الفرمان هو المرسوم.
5- الموافق لشهر مارس 1841. ينظر: A.N.T. Doss.384 , Cart 223

ملحق 16. حاكم تونس إلى قنصل فرنسا

الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله

من عبد الله سبحانه أحمد باشا باي أمير الأيالة التونسية إلى معام... القونصل جنرال دولة الفرنسيس بتونس أما بعد فإنه بلغنا كتابكم وما ذكرتم لنا أن حبيبنا حاكم الجزائر اشتكى بأن الحاج أحمد باي غار على بعض عربان الجزائر وذكر أن ذلك بسبب استناده إلينا ويتقوى بالبارود من عمالتنا وأن ذلك إعانة منا والجواب أن هذا الظن تغيرنا بسببه إن الحاج أحمد ما نزل في عمالتنا ولا استند إلينا ونحن لا نعينه هو ولا غيره وحاشا جناب الدولة أن تغتفر منا ذلك ومن المعلوم أن البارود... في عمالتنا لا يأتي من غيرها ولا يخرج منها وعنايتنا بحفظ ذلك وضبطه مشهور وجعلنا لذلك عسة عنتهي... واللي كنا تتحكم عليه بالبارود نشدد في عقوبته ومعاذ الله أن نرضى مضرة الفرنسيس أو تغفل عن أمر مثل هذا ولأجل هذا تحدد الأمر بالمبالغة في العسة ورد البال ونكتب إعلاما لكافة فناصل أحبابنا للدول في عمالتنا ينبه كل واحد منهم على من... أن لا يتعاطى البارود وأنت من جملتهم يصلكم الإعلام وقد زدنا في قوة العسة على ذلك ولا... إلا بالخير والعافية وكتب في ذي القعدة الحرام 1255 هـ.[1]

1– رسالة باي تونس إلى قنصل فرنسا بتاريخ موافق لعام 1840
A.N.T. dossier 284 bis carton 223

ملحق 17. يوسف المملوك إلى مصطفى خزندار

إلى الحضرة العالية بالله جناب المحترم السيد مصطفى خزندار وزير الحرب بالمملكة التونسية أسعدكم الله آمين وبعد إهداء السلام ونطايب التحية والإكرام كما يليق بذلك المقام ورحمة الله وبركاته فالذي تعلم به سيادتكم وهو أن حضرة السيد القونسل جنرال الدولة الفرنساوية بتونس اخبرني بالحركات المغناطيسية وان سعادة العالية سيدنا باشة المملكة التونسية بعث لحضرة الوزير المكلف بأمور الجزائر والعمارات الخارجية[1] بنيشان الافتخار الدرجة العليا إنعاما منه علينا ولما كان نيشان الشرف العزيز الذي آنعم به علينا سعادة سيدنا السلطان الأعظم ملك فرانسة صيرني اسعد الناس فان الذي جاءني من دولتكم السعيدة ملأ قلبي فرحا وسرورا ويحق له في ذلك وان الله سبحانه وعباده هم الذين رفعوني إلى هذه المرتبة العالية التي أنا فيها وسبب ذلك حسن ظني بالله وبالناس ولا يمكنني أن نتصف بهذه الأخلاق الحميدة إلا منكم ولما قدر الله علي بفراق من أحسن تربيتي منذ أحد وثلاثين سنة[2] فلم يمض علي يوم منها إلا وأتذكر فيه الخير والإحسان الذي غمرني من دايرتكم السعيدة التي هي أفخر وأفضل من جميع الدايرات الإسلامية نعم أمكنني آن نفتخر يوما في حياتي فكفاني أن نفتخر بتربيتكم أياي ومع ذلك فإنه دايما في غاية الفخر بحمل نيشان الافتخار الذي انعم وشرفني به سعادة العالية هذا ولم يوجد أحد مثلي من يفرح بالمساعدة والمحبة الكاينتين بين دولتنا ودولتكم التي نطلب من الله سبحانه أن يدم استرسال المودة بين الدولتين أبدا.

---

1 - الوزير هو شاسلوب لوبا (Chasseloup Loubat) خلف جيروم نابليون على رئاسة وزارة الجزائر والمستعمرات التي دامت من شهر 1858 إلى 26 نوفمبر 1860.

2 كان يوسف يعيش في قصر باي تونس وهرب منه نتيجة لفضيحة أخلاقية ارتكبها.

ثم أني نرغب من حضرتكم أن تبلغوا السعادة سيدي الباشا جميع اعترافي بفضله وتحققوا له جميع صدقي الذي لا يبقى أبدا حين كنت غير متحقق ببلوغ كتابي هذا لحضرتكم العزيزة فالمرغوب من فضلكم حين بلوغه لديكم أن تخبرونا بوصوله مع الحركات المغناطيسية والسلام ممن كتب عن أذنه وهو المخلص الصادق في محبته لكم حضرة السيد الجنرال يوسف[1].

1- رسالة يوسف المملوك إلى وزير الحربية مصطفى خزندار في تاريخ ربيع الثاني 22/1277 أكتوبر 1860 A.N.T.Doss.384 Cart 223

ملحق 18. إبراهيم باي إلى حسين باشا تونس

حضرة المعظم الأرفع الصدر الوجيه الأنفع الكهف الملاذ الأمنع الأعظم الأكرم الأفخم ذا المحاسن الفاخرة والأخلاق الحسنة الباهرة سيدنا السيد حسين باي باشا إفريقية صانه الله وحماه ومن كل شر ومكروه وقاه ورعاه آمين السلام على طلعتك البهية وحضرتك السنية في كل بكرة وعشية سلاما وتسليما وتشريفا وتكريما وتبجيلا وتعظيما تعمكم نفحاته ورحمة الله تعالى وبركاته ولا زايد بعد حمد الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه سوى حبكم وتقبيل الكريمتين أيديكم والدعاء لكم بالنصر على من يعاديكم والمطلوب من سبحانه وتعالى أن يمدكم بمراده ويسعدكم بالسعادة ويصلح بكم البلاد ويهني ببقائكم الوطن والعباد وبعد أبعد الله عنك المهالك وسلك بك أحسن الطرق والمسالك فالمطلوب من كرم أخلاقك ومعدن جودك وإكرامك أن ترخي علينا ضلل أنعامك وإحسانك وتجعلنا من خاصة خدامك وأولادك بل تفردني على من) أقرب لك من ذلك لأنني محسوبا عليك ومنسوبا لحفظ العلم جنابك وذلك عند الخواص والعوام والحضر والبوادي والأحباء والأعادي وتنظرنا بعين الرحمة ليحصل لنا الأمل ويزد) عنا بذلك هذا والذي يكون في شريف علمك أن الواقعة التي وقعة بيننا وبين الفرانصيص[1] بل بيني وبين أهل البلد البوادي[2]. حين أراد الطلوع للقصبة والاستيلاء على البلد وخزاين البارود كما هو في علمك اصطلحنا فيما وقع وسامحنا فيما حدد من الجانبين وتكاتبنا على العافية والصلح ويضع قنصل من قبل جنرال الجزائر في بلد عنابة على حسب العادة ولم تبق بيننا وبينه تابعة والحمد لله على العافية والله تعالى

1- يقصد بها حصار الفرنسيين مدينة عنابة ومحاولة التصالح معه
2 - يقصد محاربة أحمد باي قسنطينة له

ينصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين بجاه سيدي المرسلين والسلام في البدء والختام من ولدك ومقبل يدك إبراهيم باي وفقه الله عنه[1].

الحاق خير إن شاء الله أن رايصا من رياس البحر اسمه مرزوق جاءنا بتصيب من الزرع والبلد كما لا يخافك محتاجة لذلك نحن مسكناه يبقى عندنا ويتسوق من عندنا من شمع وجلد وغير ذلك وطلب من كريم فضلك أن تسرح له نصيب من النعمة[2] يحمله له من بلدك فاعطيه نصيبا من ذلك ولك الأجر التام من الملك العلام

1- رسالة إبراهيم باي لحسين باي هذه بعد الهجوم الفرنسي على عنابة.
A.N.T. Dos384,Cart223
2- النعمة تعني الحبوب

ملحق 19. ديفو إلى حاكم الجريد

يوم الأحد 25 من جانفي سنة 1273

إلى المكرم الأجل الوجيه الأفبل محبنا السيد علي الساسي قايد الجريد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياته يليه كيف أنتم وكيف هي المرضية أحوالكم هذه وأن ابن عمكم سي عمارة قد مكننا بجوابكم ففككناه وفهمنا معناه وقد تأسفنا كثيرا لعدم قدومكم إلينا لكونك لكونك انشغلت بمشارب دولتكم وقد عجبني سي عمارة كثيرا وكما كلفته أنت وفوضت له أمركفها نحن اتفقنا معهفيما يأتي ذكره وهو أن ابننا سي علي بن عمر الخليفة سوف يتوجه بعض شهر إلى نفطة ليتم بعونك سلاك ما أوجبت به سيادة البائسة عوضا عما أخذه محمد بوعلاق لأهل الواد من الأثاث واتفق أيضا بيننا وأن بعد سلاك خسارة الأثاث المذكورين لناس الواد المزبورين بمكنك ابننا سي علي بن عمر بالدراهم التي أخذوها خدام قايد بسكرة في وطنهم أنها للشيخ سلمان وليكن في علمك واتنا غدا إن شاء الله نرحل من بير بوتاب لنتوجه إلى تقرين وإلى الآن ما وجدنا سوى العافية التامة في كل الأوطان التي دخلناها وستبذل كل الجهود أن تكون هذه العافية دايمة بحيث أن لا يقع شيء من الخوف سواء كان لناس الجريد من المسيبين أو لناس الزيبان من وطننا ليلا أو نهار وبهذا انعم أحباء المودة الكاينة بين الدولتين ويتمنى خير الرعيتين التي نحن مكلفون بحكمها وإن كانت لك شكوة على أحد من وطننا فالمرغوب منك أن تكاتبنا وترسل إلينا مكاتيبك على بسكرة وبعد الاطلاع على ما تريده نحص الحق إن شاء الله والسلام مني والمراد أن تبلغ البرية الواردة عليك مع هذه إلى سعادة المعظم السيد القونصو جينرال المتولي أمور فرانسة بتونسوالسلام من كتب عن إذنه سعادة المعظم الأسعد السيد الجنرال ديفو الحاكم الكبير من باتنة ونواحيها حرر في 3 جماد الأولى 1273.

ملحق 20 روندون إلى محمد باشا


الحمد لله تعالى

إلى الحضرة العلية والسيادة السنية المعظم الأرفع حبيبنا المحسن السيد محمد باشا باي[1] صاحب المملكة التونسية بعد إهداء السلام والمحبة والإكرام المناسبة لحضرتكم السعيدة أدام لكم الله عزة وإحسانه أما بعد فقد ورد إلينا الأعز بكتابكم الذي شرفتنا به حضرتكم وفرحنا بتهنيتكم لنا فيما أنعم علينا مولانا السلطان الأعظم سلطان فرانسة[2] بتوليتنا رتبة مارشال ومهما أسرنا في إظهار محبتكم لنا وجد خلاصة كبراء دولتكم السعيدة فقبلنا من أرسلت حضرتكم إلينا بالفرح والسرور كما يناسب شأنهم ويليق مقامهم وخصوصا المعظم الأشجع السيد حسن المقرون أمير لواء دولتكم فقد وجب لنا الثناء لغاية سياسته ورياسته وسائر فضائله الحميدة وشكرنا دقة ذهنكم في حسن اختياركم فيحق للملوك أن يعتمدوا على من هو مثله وكم من شهادة مودة رأيناها من مملكتكم فقد دخل بيان محبتكم والمودة بين مملكة الجزائر ومملكة جنابكم وقد فرحنا ببلوغ مرادنا لما حسبتمونا أحبابكم وشرفتمونا بتفضيلكم وقد وصينا المعظم السيد حسن المقرون أمير لواء أن يبلغكم شكرنا فيما أرسلتم لنا صحبته فضلا عن عجز الكتاب ويحققكم غاية احترامنا لجنابكم فليس لنا خير واسطة سواه ودمتم بخير وعافية والسلام بأمر سعادة السيد المارشال روندون والي العمالات الجزائرية ووفقه الله آمين في تاريخ 2 من ماي 1856[3].

1- حكم محمد باشا باي 1855 1859.
2 هو نابليون الثالث.
3- رسالة الحاكم العام روندون إلى حاكم تونس

A.N.T.Dossier bis,384 , Cart 223.

ملحق 21. حاكم عنابة إلى كاهية الكاف



الحمد لله وحده ولا شريك له في ملكه سبحانه

حفظ الله تعالى وكرمه حضرة محبنا وعزيزنا الأجل المحترم المكرم السيد أحمد زروق مير اللواء وآغا الكاف دام بخير بعد أهداكم كثير السلام وغاية الإكرام عسى تكونوا على خير وعافية يليه يكون معلوم عند محبكم إن الآن عندي حق المعرفة بالذين قتلوا المرحوم الكولونيل وهم أربعة أنفار توانسة من تحت حكمكم وهم معروفين عند الناس لأنهم لم خبوا فعلهم بل أظهروا الحوايج امتاع الكولونيل الذي من بعد ما قتلوه عروه إلى جميع الناس يفتخروا بفعلهم المكروه ومن حيث أن الدولتين متساويتين وبمحبة واحدة وعافية أظن أن حضرتكم لا يحصل منكم قصور بل تعملوا غاية مجهودكم لأجل بأسرع وقت ترسلوا لي هذه الأربعة أنفار الذي قتلوا المرحوم الكولونيل ظلما وعدوانا ومن حيث أني كل يوم أنتقل من محل إلى محل آخر أرجوكم أن ترسلوا لي هذه الأربعة أنفار إلى سوق اهراس يوم الحد الذي هو ستة وعشرون من شهر أكتوبر وها أنا نرجا بما ذكر وعليكم السلام التام من محبكم سعادة الجنرال بيريكو حاكم بلاد عنابة وساير عمالتها نصره الله آمين 24 أكتوبر 1857[1].

1- رسالة بيريكو إلى حاكم الكاف أحمد زروق ينظر

A.N.T, Doss.248 , Cart 213.

ملحق 22. حاكم عنابة إلى كاهية الكاف



الحمد لله وحده ولا شريك له في ملكه سبحانه

حضرة عزيزنا ومحبنا الأجل المحترم الأشمل الموقر المكرم السيد أحمد زروق مير لواء وكاهية الكاف دام بقاه آمين

بعد السلام عليكم والرحمة والبركة يليه وصلني جوابكم المؤرخ في ربيع الأنوار عام 1274 (1857) وكامل شرحكم فهمته على شأن هذه الدعوة الكبيرة والعظيمة وهي قتل الكولنيل الفرنساوي بالخدع وبالخيانة في وسط ترابنا بجبل الأشبال[1] من جهة الظهرة فاعلموا أن لا يمكني أرتقي بكلام التمحزين الذي جاوبتوني به في كتابكم ولا بالتطمين الذي هو بالقول من غير فعل بأنهم هم يفتشوا على أصحاب الدعوة فاعلموا أن هذه القتال (الآن) انعرفوا عندكم مثل ما إنهم انعرفوا عندي ليس هم مخبيين أرواحهم بل في وسط أعراشهم واجدين حوايج هذا المسكين الكولونيل الذي قتلوه وعروه ويفتخروا بين الأعراش بفعلهم المنكر ويطوفوا من محل إلى محل بافتخارهم بقتل مخديمهم فياسيدي آغا زروق راني نتكلم معاك كلام حد حقيقي وأرجوكم أن تجاوبوني كذلك بكلام جيد من غير تمحزين هل الذين قتلوا المرحوم انحكموا وهل وحاق تونس مراده أن يبلغنا أخذ ثارنا حالا أم لا هذه هي الحاجة الذي أريد إفهمها منكم وهذا هو الشيء الواجب على أن أطلبه منكم بالوجه الواضح الثابت السريح من غير تخييل والسلام

كتب عن إذن الجنرال بيريكو حاكم بلاد عنابة وساير عمالتها نصره الله آمين

25 أكتوبر 1857[2]

1- قد يكون جبل الأشبال بالقرب من جبل سيدي أحمد على الحدود التونسية شرق الونزة

2- رسالة حاكم عنابة إلى حاكم الكاف. A.N.T. Dossier 248.Cart 213

ملحق 23: ديفو إلى روندون

الحمد لله هذا تعريب ملخص مكتوب من الجنرال ديرقوا حاكم عمالة قسنطينة مخاطبا به عادة المارشال حاكم الجزائر وسائر عمالتها المؤرخ بالسابع من شهر نوفمبر 1857 نص فيه

فقد كنت أعلمت سيادتكم بمكتوبنا المؤرخ بالسابع والعشرين من شهر أكتوبر بأن الكولونيل برست قد قتل في التاسع عشر من شهر أكتوبر قرب نزلة دار عنة الجنرال بريكوا وأعلمتك بقول بعض العربان أن أصحاب هاته الجريمة هما من عرش أولاد تليل[1] ثم أتاني بعض أخبار أخرى وعرفوني بأن أصحاب الجريمة المذكورة هما أحمد بن بالخير وبالقاسم بن مصباح وأحمد بلغيب أخو بن مصباح وبوقرة بن علي فالأول والثاني منهم هما من عرش شارن وقد تحكموا على هاذين النفرين عن إذن سيدي الصادق باي وبالقاسم بن مصباح الذي لاشك على تهمته هو من أولاد) فرقة من أولاد تليل الهاربة منذوا عامين بأرض تونس وهو الآن عند أولاد بوغانم[2] وأما أحمد أحمد بالغيب فهو تحت أيدينا ولكن مشاركته في هذه الواقعة فهي ليست كاملة الثبوت وكذلك بوقرة بن علي الذي هو من عرش شارن يوم الذي قتل الكلونيل أن الجنرال بريكوا اكتب إلى سي زروق كاهية الكاف وطلب منه أن يبحث عن أصحاب القتيل ويتمكن عليهم وطلب منه أيضا أن يخبره بجميع ما يكون في علمه في هاته النازلة فجاوبه سي زروق ما يقتضي نظره من الإذن وكذلك الجنيرال بريكوا وجه مكتوب إلى باي الأعمال المذكور فيها أن أرسل لجنابكم ما بلغ لنا من الجوابات الذي أرسلهم لنا سي زروق المذكور وسيدي

1 - أولاد تليل هم من الأعراش الجزائرية التي نزحت إلى التراب التونسي
2- أولاد بوغانم من رعايا تونس

الصادق باي ولم يظهر لي أن يتسر (كذا) لنا آخذ الثأر بالسلاح ممن هاده القتلة الكريهة الذي قتل بها الكولونير ولكن لا بد أن الوزير أمور الرائية يحرص غاية الحرص ليقع الحكم الشديد على أصحاب الجريمة

وأما قلة الامتثال وسوء نية الدولة التونسية قد بانت مرة أخرى في هاته النازلة فالباي سيدي الصادق لم أراد (كذا) يبين لنا ما اقتضاه نظره في هاته المادة ولم يذكر لنا ولو كلمة من ذلك قط وفي الحال في علمنا أنه غزاي على دوار من عرش شارن الذي وجدوا فيه شاشية الكلونير والفاكينة والنيشان وأنه خطا جميع عرش شارن ولازال يظهر لنا من الباي مثل ما صار سابقا أما بقلة الاعتناء أو عدم الاقتدار واليوم نحو ثمانية عشر شهر أن الأنفار الذين قتلوا رجلا من الفرانسوية صاحب الاكاندة الكاينة في أم الأرنب فهم إلى الآن نازلين بالكاف أو بنواحيها وهما جزايريين والناس كلهم يعرفوهم فما فعلت الدولة التونسية في تسليمهم من ذا شيء أبدا فيا هل ترى هذا نوع من التحريض في قتل الكولونير وما فعلت الدولة التونسية في شأن الناصر بن شورة[1] الذي هو لازال في قبلة عمالتنا مشتغل بالفساد والتشويش وغير ذلك فها هو جهادا تحت حماية قايد الجريد (الجريد) وقبله عنده بنقطة وربما هو أن القائد المذكور أتا لأرضنا وغزا على عرباننا الآن نحو شهرين حتى وصل إلى العوينة) داخل عمالتنا ويبعد على الحدادة بثلاث ميل، وكذلك الفعل أيضا في شأن محمد بوعلاق[2] وفي شأن جميع المتسببين في البارود وفي جميع جموع () الذين أتوا في الشهر الفارط لأرض بني صالح وفعلوا ما فعلوا من النهب والقتل

1- هو محمد بن تومي المعروف بناصر بن شهرة.
2- محمد بوعلاق هو رئيس أولاد يعقوب أحد الذين ثاروا ضد السلطة الفرنسية.

وأيضا في شأن المفسدين وقطاع الطرقات الذين يتوجهوا إلى أسواق نواحي الكاف ويبيعوا ما سرقوا ونهبوا من بلادنا.ولا يخفا على السيادة أنه إذا كان حضرة باي تونس لازال مستمرا على سياسته هذه بالحدادة لاشك أنه يقع التشك وعروشنا من ناحية القبلية لا يمكن لهم صبرا دايما من التعدي عليهم لما يناطهم من النهب (والشدة) بل ربما يأخذون ثارهم ويرجعون إلى سوء عاداتهم الفساد الذي قد صعب علينا عدمها اشد الصعب فبسبب جميع ذلك فقد ارغب السيادة تطلب طلب الحرص في تسليم قتال الكلونير وتطلب من دولتنا أن تتوسط باقتدارها في المستقبل وقوع نوازل مثل هذه الذي ينتج منها الفتن[1]

1- من ديفو إلى روندون A.N.T.Doss 248,Cart 21

المصادر والمراجع المعتمدة

- سورة النور الآية 43
- ابن اشنهو عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر ش.و.ن.ت. الجزائر 1979
- بورويبة، رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، ش. و. ن. ت. الجزائر 1979
- التميمي، عبد الجليل
- 1 – "مغامرة الحماية التونسية على وهران 1831 "، المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس 1976، ص_ص. 5 — 19.
- 2 – "تقرير عن الأحداث السياسية بتونس خلال العشرين سنة التالية: 1838 — 1858"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس 1974، ص — ص. 103 — 117.
- 3 – بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ط. 1، الدار التونسية للنشر، تونس 1972
- 4 – "العلم القسنطيني، "المجلة التاريخية المغربية"، عدد 2، تونس 1974، ص — ص. 89 — 92.
- الجنحاني، الحبيب، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي"، الأصالة، العدد 16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1973، ص — ص. 23 — 36.
- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط. 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1373هـ
- ابن خلدون عبد الرحمان العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، دار الكتاب اللبناني، ط.3، بيروت.
- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1961

- رشاد، الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782–1814)، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980
- سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985
- صلاح، العقاد، المغرب العربي، ط. 3، مكتبة الأنجلو- المصرية
صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت. الجزائر 1974
- ابن أبي الضياف، أحمد:
- 1 – إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج. 3، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1963
- 2 – إتحاف أهل الزمان، تحقيق أحمد عبد السلام: الباب السادس، تونس 1971
- 3 – إتحاف أهل الزمان. ج. 5، 6، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1964 ابن *
. ابن العربي، محي الدين، كتاب اصطلاح الصوفية، جمعية دائرة المعارف العثمانية ط.1، (دون البلد)، 1948
- عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبد الله، ط.1، دار الحداثة، بيروت 1983
- عميراوي احميده، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في الشرق الجزائري، البعث، قسنطينة 1984
- فيرو شارل، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد بن عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، ليبيا، 1973
- أبو القاسم، سعد الله
- 1 –، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
- 2 –، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء4،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
- كلود، رافستان، "عناصر لنظرية في الحدود"، ديوجين، العدد 78، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة 1988
- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الفارابي، ط. 7، بيروت 1980

• محمد بيرم الخامس: القطر التونسي في صفوة الاعتبار، تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس 1983.
• معاشي، جميلة: الأسر الحاكمة ببايلك الشرق، ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر 1991
• محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق، سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1996
• الميلي، مبارك، تاريخ الجزائر القديم، ج.3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964
• محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ج. 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903
• المدني، أحمد توفيق، "الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر"، الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر 1983، ص — ص. 153 — 168.
• محمد، المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ص. 17 (نقلا عن "تاريخ نشأة العلائق بين فرنسا وتونس"، الرزنامة التونسية لعام 1905).
• يحي بوعزيز،
• 1 —، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ش. و. ن. ت. الجزائر، الدار العربية للكتاب تونس 1983
• 2— "وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851 — 1875)"، الثقافة، عدد 31، الجزائر 1976، ص 39 وما بعدها.
• 3 — يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

[illegible] carton [illegible]
[illegible] 5, carton 504.
[illegible] 6, carton 504.
[illegible] 82, carton 206, années 1816 à 1830.
[illegible] 85, cart. 206, années 1830 à 1836.
[illegible] 138, Carton 209.
[illegible] 145, Carton 209.
[illegible] 229 à 247, carton 212
[illegible] 230, 232, 239, cart.212
[illegible] 248, cart 213
[illegible] 384, Cart. 223
[illegible] 384 bis, cart223,
[illegible] dossier 698, carton 252
[illegible] dossiers, 775, 778, cart. 64
[illegible] /1697, 1H14
[illegible] / 1673.
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] 1H11
[illegible] 1H26,
[illegible] 1H28
[illegible] Nadir, «Les ordres religieux et la conquête française », in Revue [illegible] des sciences juridiques, économiques et politiques, vol. 1, n°.4, [illegible] 1977, p-p. 814 - 872.
[illegible] Rousseau, Les Annales tunisiennes, 2è édi. Bouslama. Tunis [illegible]
[illegible] Lilia,
• [illegible] Tribus, structure sociale et pouvoir politique de Constantine sous les [illegible], D.E.A.. Fac. de droit et des sciences po., Aix- en-Provence, France [illegible]
• [illegible] Mythe d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la [illegible] tion turque, thèse de 3e cycle, Aix -en -Provence, France 1984
• Bedjaoui (Md.), La révolution algérienne et le droit. Edit. de l'association internationale des juristes démocrates. Bruxelles 1961.
• Boualem Bouguetaia, Les frontières méridionales de l'Algérie S.N.E.D. Alger 1981.
• Chérif (M. H.),
• 1 -« Hammuda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », Les Africains, t. 7, édi. Jeune Afrique, Paris 1977, p-p. 103 - 127.

• 2 -« Expansion européenne et diff. tunisiennes 1815 — 1830 », in Annales E. S. C. mai – juillet 1970.

• **Cour** (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes », in R.A. 1862, p- p. 291-334.

• **Carzet** (J.), Les confréries religieuses musulmanes en Algérie Alger 1959.

• Dardour (H.), Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, S.N.E.D. Alger 1982

• **Esquer** (G.), Corresp. du général. Clauzel, (1835 - 1837), t. 1, Larose, Paris 1948

• **Esterchazy** (W.), Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger Goussin, Paris 1840.

• **Féraud** (Ch.),

• **1** - Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger 1878

• 2 - Notices Historiques sur les tribus de la province de Constantine , Arnolet Constantine 1869.

• 3 - « Les Harar seigneur des Hanancha », in R.A. 1874

• 4 - Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunisie, Arnolet, Constantine 1886

• 5 - , « Notice sur Tebessa », in R.A., 1874, p. 449, 456.

• 6 - (Ch.), «notes historiques sur la province de Constantine les Ben-Djellab, Sultans de Touggurt », in R.A., 1882, p-p. 361-386

• **Gouvion** (M.), et, Edouard, Kitab Ayan El Magthariba, Alger 1920.

• **Grammont** (H. de), Hist. de l'Algérie sous la domination Turque (1515-1830) , Ernest , L, Paris 1887

• **Hamdan** (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D.Goetschy, Paris 1833

• **Julien** (CH.) , Hist. de l'Algérie , P.U.F. Paris 1964

• **Khelifa Chater**, Description et mutations précoloniales, la Régence de Tunisie de 1815-1857, publication de l'Université de Tunis 1984

• **Mohammed** (S. B. Y.), Chronique Tunisienne, tr. par Victor (S.), et, Lasram, éd. Bouslama, Tunis 1978

• **Murati,** "Le maraboutisme, ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa "in Recueil 1936- 1937, Société de préhistoire et d'archéologie de Tebessa, Baconnier, Alger 1839, p- p. 267 - 279.

• **Marcel** (E.), « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », in Information historique, nov-dec, 1952

• **Mercier** (J.), Etude sur les confréries des Khouans de Sidi Abd El kader El Djilani, Challanel, Paris 1863.

• **Maurice Constantin,** La vie du général Yusuf, Gallimard, Paris 1930.

• **EL -Makhtar Bey**, Du rôle de la dynastie husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie Moderne, thèse pour le doct. en droit. Faculté de droit et des sciences économiques, t. 2, Paris4, 1968

• **Neveu** (F. DE.), Les Khouans ordres religieux chez les musulmans d'Alger Jourdan 1913.

• **Noushi (A.),**

• 1 Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'à 1919, Paris 1961

• 2- Sur le féodalisme, Cahier du C.E.R.M. éd., sociale, 1974.

• **Nettement** (A.) , Hist. de la conquête d'Alger , le coffre ,J. Paris 1856

• **Peyssonnel**, et, Desfontaines, Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide, Paris 1838

• **Pellissier** (R. de), Annales algériennes, t. 3., Dumaine, Paris 1854

• **Perrot**, Alger esquisse topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger, Paris 1830

• **Pellissier de Reynaud**, Description de la Régence de Tunis Imp. Impériale, Paris 1853.

• **Pouyanne**, La propriété foncière en Algérie, Jourdan, Alger 1900

• **Rinn** (L.), Marabouts et khouans, Jourdan, Alger 1884.

• **Raymond** (A.), «les caractéristiques d'une ville arabe moyenne » au 18è siècle: le cas de Constantine », C.T., n o 137-138, Faculté des lettres et sciences humaines Tunis 1986, p-p. 175-195.

• **Sadok** (Z.), Les précurseurs, 2è éd. Bouslama, Tunis 1979

• **Shaw** (docteur), Voyage dans la Régence d'Alger, tra. de l'Anglais par Mac Carthy, Paris 1830.

• **Temimi** (A.), Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), R.H.M. Tunisie 1978.

• **Warnier,** et, Carette (A.E. Hyppolyte), Description et division de l'Algérie Hachette, Paris 1847

• **Yacono** (X.),"Peut-on évaluer la population de l'Algérie vers 1830", in, R.A. année 1954, p-p. 277-307.

• (?), Commerce de l'Afrique avec la Mecque et le Soudan, Paris 1849.

فهرس الملاحق

فهرس المحتويات